الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
السنة السابعة والثلاثون
ربيع الأول١٤٤٤ هـ - تشرين الأول٢٠٢٢م
العدد
٤٣٤

كلمة الوعي

المولد النبوي
إشراقة النور في عصر الظلمات

التنافس بين الولايات المتحدة والصين وموقف المسلمين

الصندوق الأسود للفكر الغربي (٢)

وقفات للذكر والاقتداء مع طلب الرسول ﷺ لنصرة من أهل القوة والمنعة من القبائل

النظام الاقتصادي الأمثل (صور من النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي) (٤)

د. محمود عبد الهادي

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
برخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العدد ٤٣٤

السنة السابعة والثلاثون
ربيعالأول ١٤٤٤هـ
تشرين الأول٢٠٢٢م

المحتويات

- كلمة الوعي: المولد النبوي - إشراقة النور في عصر الظلمات ٣
- التنافس بين الولايات المتحدة والصين وموقف المسلمين ٦
- النظام الاقتصادي الأمثل (صور من النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي) (٤) ١٣
- الصندوق الأسود للفكر الغربي (٢) ٢٤
- وقفات للذكر والاقتداء مع طلب الرسول ﷺ لنصرة من أهل القوة والمنعة من القبائل ٣٣
- أخبار المسلمين في العالم ٣٧
- مع القرآن الكريم: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم ...﴾ ٤٢
- رياض الجنة: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ...﴾ ٤٨
- كلمة أخيرة: الشيخ بلحاج يعلق على تصريحات الريسوني بكلام مشرق عن مهمة العلماء ٥١
- غلاف أخير: «ربيع عربي» جديد أقوى في الطريق ٥٢

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

المولد النبوي – إشراقة النور في عصر الظلمات

حمد طبيب – بيت المقدس

عندما نذكر المولد النبوي الشريف، نتذكر نور الرسالة الهادية التي أنار بها هذا النبي الكريم عصر الظلمات بالهداية والاستقامة والحق. بعد أن انقطع هذا النور سنوات طويلة منذ عصر آخر لبنة في بيت النبوة؛ أي منذ رسالة سيدنا عيسى عليه السلام؛ فكان نبيُّنا عليه الصلاة والسلام اللَّبِنَة المكمِّلة لهذا البيت العظيم؛ فاكتمل البيت بها، وازدانت جوانبه وأركانه. وفي هذه الذكرى العطرة الطيبة المباركة نريد أن نقف على الحقائق التالية، والتي تخص رسالة الهادي ﷺ (رسالة الإسلام):

١- لقد عرّفت رسالة الإسلام البشرية بنفسها؛ بعد سنين من التيه والضياع، عبدت فيها البشرية الحجر والشجر والنجوم والكواكب، فعرّفتها أولًا: بخالق الكون والإنسان والحياة، وبحقيقة الخلق، وحقيقة رحلة الإنسان في هذه الحياة؛ بأنها لغاية جليلة عظيمة، ولم تخلق عبثًا ولا لهوًا. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال سبحانه: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾، وعرفتها أنها من عباد الله عز وجل؛ تشرَّفت وتكرَّمت بهذه النسبة لهذا الخالق العظيم.

٢- رسالة الإسلام جعلت الناس في ظلِّها إخوة متحابين؛ لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأسود على أبيض، ولا لأحمر على أصفر إلا بالتقوى: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴿١٣﴾﴾[الحجرات: ١٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ؛ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عربيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى؛ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**» رواه البيهقي في شعب الإيمان.

٣- أنارت هذه الرسالة الربَّانية السامية للناس طريق الخير والشر، وجاءت بأحكام نورانية مستقيمة، وضعت كل شيء في نصابه، وعالجت أمور الناس معالجة سامية لا تصل إليها أي شرائع أخرى؛ لأنها الوحيدة من الله تعالى، وكل الشرائع الأخرى من وضع البشر العاجزين الناقصين،

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤].

٤- ارتفعت رسالة الإسلام بالبشرية عن الالتصاق بالطين والتراب ومتع الحياة الدنيا إلى الصلة الروحية السامية بخالق الطين والتراب؛ في ظل هذا النور الرباني العظيم، قال تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]، وارتفعت عن المصاف البهيمي الحيواني إلى المصاف الإنساني، وعن التيه الموازي للموت إلى الحياة، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام: ١٢٢]

٥- أرست رسالة الإسلام دعائم السلم والسلام بمعناه الصحيح؛ وذلك بنشر الهداية بين الناس، وعدم التطلُّع لما في أيديهم؛ كما كان يحصل في حروب الجاهلية؛ حيث كانت تُسلب الأموال وتسبى النساء، ويعيث الغازون في الأرض فسادًا وإفسادًا؛ كما كان يحصل بين الفرس والروم، أو بين القبائل العربية بعضها مع بعض؛ في داحس والغبراء، ويوم حليمة ويوم بعاث وغيرها.

إن أوصاف الرسالة لا تقف عند نقاط معينة، فكل آية أو حديث من أحاديث المصطفى تعتبر ركيزة حق ومشكاة نور لهذه الرسالة العظيمة.

إن هذا النور الإلهي العظيم الذي أنار وجه الأرض في عصر الظلمات؛ فأشرقت الأرض بنور ربها بإشراقته، ليذكرنا هذه الأيام بما يجري على وجه الأرض من تيه وضياع، وظلمات وظلم للناس أشد مما كان في الجاهلية الأولى، ويقودنا للقول بأن البشرية هذه الأيام تعاني ما تعاني؛ بسبب غياب الحق (الإسلام)، وأنه لا ينقذها إلا الإسلام؛ بالطريقة نفسها التي جاء بها الوحي للرسول عليه الصلاة والسلام، أي بنشر هداية الإسلام ونور الإسلام؛ ليشرق مرة أخرى كما أشرق من قبل.

لقد عانت البشرية من الظلم والتيه قبل اتباع العالم للمبدئين الرأسمالي والاشتراكي، عانت

في العصور الوسطى من ظلم الكنيسة ورجال الدين لدرجة الانفجار على هذا الظلم؛ فاتَّبعت النظام الرأسمالي بعد أخذ ورد وصراع طويل بين المفكرين من جانب ورجال الدين من جانب آخر، ثم لم تلبث البشرية أن تحرَّرت من عبودية رجال الدين؛ لتقع رهينة عبودية الرأسماليين وأصحاب المال. فحاولت الانفلات من هذا الظلم باتِّباع الاشتراكية لرفع الهيمنة الرأسمالية من أشخاص معدودين؛ ولكنها كذلك وجدت بعد سنوات أنها كالمستجير من الرمضاء بالنار، وما زالت البشرية ضائعة تائهة حتى يومنا هذا.

إن وجه الأرض خالٍ وللأسف من دولة تحمل هذا النور؛ كما حمله المسلمون من قبل، فوصلوا به إلى أقاصي الأرض شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، وأنه وللأسف أيضًا يسود الضلال بكافة أشكاله على رأسه المنهج الرأسمالي الهابط الملتصق بالطين والتراب. وتتجبَّر دول هذا المبدأ السقيم بالبشرية؛ فتنشر الحروب، وتسفك الدماء، وتغتصب البلاد والعباد، وتسلب الأموال من أفواه الجياع؛ فتنشر المجاعات بسبب جشع شركاتها العملاقة ودولها الشريرة.

إن هذا ليذكرنا بواجب أمة الإسلام، ونحن اليوم في ذكرى ميلاد المصطفى عليه الصلاة والسلام. فميلاده هو ميلاد رسالة. فالمسلمون بدون دولة تطبق الإسلام هم أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام. والعالم بدون الإسلام كالأرض العطشى المتشقِّقة من كثرة الجفاف. وقد وصف الحق تعالى هذه الأمة بالخيرية في ظل الإسلام، أي في ظل خلافة الإسلام، فقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والرسول ﷺ وصف هذه الأمة بأنها كالغيث الذي يروي وجه الأرض، فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ**» أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

فنسأله تعالى، ونحن في هذه الذكرى العطرة، أن تكون ذكرى ودافعًا لأمة الإسلام لإعادة صرح الإسلام: **خلافة على منهاج النبوة**، وحمل الإسلام من خلالها رسالة خير وهدى إلى البشرية جميعًا. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

التنافس بين الولايات المتحدة والصين وموقف المسلمين

حسبي أسور

لأكثر من عقدين من الزمان، كانت أمريكا دولة أولى في العالم من دون مزاحم لها في النفوذ العالمي؛ ولكن شاب العقد الماضي في السياسة الدولية تنافسٌ بين الولايات المتحدة والصين؛ إذ جعل صعود الصين الولايات المتحدة تبدأ بالقلق من أن هيمنتها بدأت في التناقص، وأن هناك بلدانًا أخرى تفضل وتميل إلى الصين تدريجيًّا.

ومنطقة المحيطين الهندي والهادئ هي مجال تنافسي حيوي لهذين البلدين الرئيسيين، وينظر إلى الصين على أنها عدوانية فى المنطقة من خلال مشروع مبادرة الحزام والطريق، ومن خلال التعاون التجاري والاستثماري مع مختلف دول المنطقة. وبالإضافة إلى ذلك، تكثِّف الصين أنشطتها في بحر الصين الجنوبي الذي تزعم أنه إقليمها السيادي من خلال الأنشطة العسكرية والبحوث وصيد الأسماك. وبالإضافة إلى ذلك أيضًا، تواصل الصين زيادة قوتها في مجال الأسلحة، وهي الآن البلد الذي له ثاني أكبر إنفاق عسكري بعد الولايات المتحدة.

إن قوة الصين المتزايدة وموقفها السياسي في منطقة المحيطين الهندي والهادئ بالنسبة للولايات المتحدة يشكلان تهديدًا لمصالحها في المنطقة؛ لأن المنطقة بالنسبة للولايات المتحدة شريك استثماري. في التجارة والأمن الاستراتيجيين. ففي عام ٢٠١٨م، على سبيل المثال،ادَّعت الولايات المتحدة أن قيمة التجارة بين الولايات المتحدة ودول المحيطين الهندي والهادئ ساهمت بثلاثة ملايين وظيفة في المجتمع الأمريكي. وفي عام ٢٠١٦م، تم نقل حوالى ٦٪ من إجمالي التجارة الأمريكية عبر هذا الطريق بحر الصين الجنوبي[١].

وعندما تسيطر الصين على بحر الصين الجنوبي، يمكنها أن تتقن أنشطة صيد الأسماك واستكشاف الغاز بأعداد كبيرة جدًّا، كما يمكن للصين أن تمارس الترهيب أو الضغط - الضغط السياسي على البلدان المتاخمة لبحر الصين الجنوبي، كما تستطيع الصين أن تجعل من منطقة LCS منطقة دفاعها الجوي، وتفرض حصارًا على تايوان وكوريا واليابان؛ حتى تصبح نقطة انطلاق للتوقعات السياسية والعسكرية العالمية.

بالنسبة للولايات المتحدة، إن سيطرة الصين على اتفاقية الأسلحة الـ LCS ستجعل من الصعب عليها حماية حلفائها في شرق آسيا. ومن شأن ذلك أن يعقد العمليات التجارية الأمريكية في جنوب شرق وشرق آسيا، وسيعوق النقل العسكري الأمريكي من

١ مارفن أوت، «بحر الصين الجنوبي من الناحية الاستراتيجية»، ٢٠١٩، https://www.wilsoncenter.org/post-blog/the-south-china-sea-strategic-terms.

منطقة المحيط الهادئ إلى المحيط الهندي. تلقائيًّا، بالنسبة للولايات المتحدة، إذا لم يتمَّ احتواء الصين على الفور، فإنها ستجعل الولايات المتحدة تفقد موقعها الاستراتيجي في منطقة المحيطين الهندي والهادئ بما في ذلك التهديدات التي يتعرض لها الموقع على مستوى العالم[٢].

في مواجهة تهديدات الصين، وضعت الولايات المتحدة استراتيجيتها السياسية، والتي تقوم، كما جاء في وثيقة مجلس الأمن القومي الأمريكي على ما يلي:

أ- تعزيز المساعدات الأمريكية للدول الصديقة، والتقرب من جمهور تلك البلدان لمنافسة جهود الصين.

ب- تعزيز التعاون مع البلدان الشريكة الاستراتيجية مثل اليابان وكوريا وأستراليا، وذلك مثلًا من خلال إطار أمني رباعي.

ج- تعزيز التحالفات مع الفلبين وتايلند لدعم الدور النشط لهذه البلدان في المنطقة من خلال المساعدة الإنمائية والدفاعية، فضلًا عن التدريب.

د- تعزيز القيادة الأمريكية في المجالات الأمنية غير التقليدية في منطقة المحيطين الهندي والهادئ مثل المساعدات الإنسانية والكوارث والصحة.

هـ- مواجهة موقف الصين غير العادل بشأن التجارة العالمية وخلق رأي عالمي بشأن تجارة الصين غير العادلة والمدمرة[٣].

وقد بذلت الولايات المتحدة جهودًا مختلفة لتنفيذ استراتيجيتها السياسية، يتناول إلى جانب التعاون العسكري، تعاونًا غير عسكري، منذ إعلان دونالد ترامب في عام ٢٠١٧م بشأن الرؤية للمحيطين الهندي والهادئ أن الولايات المتحدة منفتحة وحرة (رؤية أميركية لحرية وانفتاح المحيطين الهندي والهادئ) حيث تبدأ مشاريع لمساعدة تطوير البنية التحتية والتنمية والنمو الاقتصادي من خلال الطاقة والاتصال الرقمي والتعاون الأمني السيبراني. لقد أفادت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في عام ٢٠١٨م أن التعاون بين دول المحيطين الهندي والهادئ والولايات المتحدة زاد بسرعة مع آلاف المشاريع الجديدة؛ حيث شمل التعاون فيتنام وإندونيسيا واليابان وسريلانكا وميانمار[٤]. وفي عام ٢٠٢١م، في منتدى الأعمال الهندية الباسيفيكية، وسَّعت الولايات المتحدة مساعداتها إلى دول جنوب آسيا مثل بنغلاديش وبوتان والهند وجزر المالديف ونيبال وسريلانكا. ثم في دول جنوب شرق آسيا تشمل إندونيسيا والفلبين وكمبوديا ولاوس وتايلاند وفيتنام وبلدان في المحيط الهادئ مثل بابوا غينيا الجديدة وجزر

٢ رونالد أوروك، «المنافسة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة والصين في بحر الصين الجنوبي وبحر الصين الشرقي: خلفية وقضايا للكونغرس (محدث)»، في التطورات الحالية في العلاقات بين الولايات المتحدة والصين، ٢٠٢١، ١٢١-٢٨٨.

٣ https://:content-wp/gov.archives.trumpwhitehouse/uploads/٠١/٢٠٢١/pdf.Declass-Final-IPS مجلس الأمن القومي الأمريكي، «الإطار الاستراتيجي الأمريكي لمنطقة المحيطين الهندي والهادئ»، ٢٠١٨.

٤ الوكالة الأميركية للتنمية الدولية، دور الوكالة الأميركية للتنمية الدولية في النهوض برؤية الولايات المتحدة من أجل | الهند والمحيط الهادئ الحرة والمفتوحة الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، ٢٠١٩، https://:usaid.www/gov/vision-pacific-indo/econ/shared-prosperity-٢٠١٩.

سليمان وفانواتو. وقد بلغت قيمة المساعدات حوالى ٢٨٦ مليون دولار[٥].

ومنذ عام ٢٠١٩م، نشرت الولايات المتحدة، في المحيطين الهندي والهادئ، ما يقرب من ٢٠٠٠ طائرة حربية، و٢٠٠ سفينة حربية وغواصة، وأكثر من ٣٧٠ ألف جندي، جنبًا إلى جنب مع الطاقم الذي كان يعمل لتأمين المصالح العسكرية للولايات المتحدة في منطقة المحيطين الهندي والهادئ. وكانت أكبر تجمعات الانتشار العسكري في اليابان وكوريا الجنوبية. وعلى نطاق أصغر، يوجد الجيش الأمريكي أيضًا في الفلبين وأستراليا وسنغافورة وديبغو غارسيا[٦]. أنشأت الولايات المتحدة وشركاؤها الاستراتيجيون في المنطقة منتدى حوار يسمى الحوار الأمني الرباعي مع أستراليا والهند واليابان. وقد تمَّ تشكيل المنتدى في عام ٢٠٠٤م استجابة لتأثير أمواج المد؛ ولكنه ينمو اليوم كمنتدى حواري للقضايا الاستراتيجية فى مجالات الأمن والاقتصاد والصحة، خاصة لوقف نفوذ الصين في المنطقة. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٠م، عقد التحالف مناورات حربية مشتركة في مالابار تمَّ فيها استخدام معدات حربية بحرية وجوية (وزراء الدفاع، ٢٠٢٠م). ولا يقتصر التعاون العسكري على تعزيز التعاون في مجال اللقاحات لوقف جهود الصين السياسية في مجال اللقاحات في المنطقة وعلى الصعيد العالمي من خلال المساعدة المالية المقدمة من اليابان والولايات المتحدة لزيادة إنتاج لقاح كوفيد ١٩ في الهند، والمساعدة في التوزيع من أستراليا في المنطقة [٧](باسكال،٢٠٢١).

ثم في ٢٠٢١/١١/١١م، أعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا عن اتفاق ثلاثي للتعاون في مجال تبادل المعلومات في مجال الدفع النووي للبحرية من أجل تعزيز دفاع مشترك يسمى أوكوس. وبموجب هذه الصفقة، ستحصل أستراليا على غواصة متقدمة تعمل بالطاقة النووية. وكان هذا الاتفاق قد أزعج فرنسا لأن أستراليا قررت من جانب واحد إلغاء عقد الغواصات بين البلدين. وفى جنوب شرق آسيا، هناك ماليزيا وإندونيسيا بينما رحبت سنغافورة وفيتنام والفلبين بالاتفاق.

وبالإضافة إلى زيادة التعاون، أجريت في السنوات القليلة الماضية بين الكتلة الأمريكية والكتلة الصينية استعراضًا للقوة من خلال مناورات قتالية في بحر الصين الجنوبي. مثل التعاون الأمريكي والإندونيسي في المناورات العسكرية التي يشارك فيها ٤٠٠٠ جندي؛ المناورات الهندية والفيتنامية؛ المناورات

٥ الوكالة الأميركية للتنمية الدولية، «الوكالة الأميركية للتنمية الدولية تعرض أكثر من ٢٨٦ مليون دولار في البرامج والمبادرات المخطط لها لتعزيز النمو الاقتصادي في منطقة المحيطين الهندي والهادئ»، ٢٠٢١، https://www.usaid.gov/news-information/press-releases/oct-28-2021-showcases-usaid-286-million-more-planned-programs-and-initiatives.

٦ قسم دفاع وزراء، «أستراليا تنضم إلى تمرين مالابار ٢٠٢٠»، إدارة الحكومة الأسترالية دفاع، ٢٠٢٠، انضم https://www.minister.defence.gov.au/minister/lreynolds/media-releases/australia-joins-malabar-exercise-2020#:~:text=Australia إلى المفتاح الإقليمية،من السلام والأمن الإقليميين.

٧ كليو باسكال، «الهند والمحيط الهادئ استراتيجيات التصورات والرأي من سبعة بلدان»، طاقة البيئة،و موارد برنامج وآسيا والمحيط الهادئ برنامجلا. آذار/مارس (٢٠٢١): ٥٣.

الأمريكية والفلبينية؛ المناورات الأمريكية واليابانية؛ الهند والفلبين وخارجها. كما أجرت الصين تدريبات روسية مشتركة شارك فيها ١٠ آلاف جندي في منطقة بحر الصين الجنوبي. وقد أجرت الولايات المتحدة ٨٥ مناورة عسكرية في المحيطين الهندى والباسيفيكي وخاصة في بحر الصين الجنوبي. أما بالنسبة للرد على الولايات المتحدة وحلفائها، فقد زادت الصين أيضًا من قوتها البحرية منذ عام ٢٠١٩[٨]م.

من ناحية أخرى، وفي عام ٢٠١٨م، شنت الولايات المتحدة حربًا تجارية ضد الصين منذ عهد دونالد ترامب. كما لعبت الولايات المتحدة بقضية انتهاكات الصين لحقوق الإنسان ضد الأويغور للتنديد بالصين، وحتى إدارة بايدن قاطعت دورة الألعاب الأولمبية الشتوية والألعاب الأولمبية للمعوقين لعام ٢٠٢٢م في بكين للسبب نفسه.

من الحقائق المذكورة أعلاه يبدو أن الولايات المتحدة جادَّة جدًّا في الاستجابة لمواجهة سياسات الصين في منطقة المحيطين الهندي والهادئ. كما يقال إن انسحاب الولايات المتحدة في أفغانستان جزء من جهود الولايات المتحدة للتركيز على التعامل مع الصين. وفي نهاية كانون الأول/ديسمبر، وافق الكونغرس الأمريكي على زيادة الإنفاق الدفاعي الأمريكي بنسبة ٥٪ إلى ٧٧٧ مليار دولار. هذا المبلغ يتجاوز بكثير إنفاق الصين حتى لو اقترن بإنفاق روسيا.

وقد اعترفت بذلك عضوة ديمقراطية في الكونغرس، هي إلين لوريا، التي قالت إن هذا جزء من جهد مضاد للتهديد الصيني. في أيار/مايو ٢٠٢١م، عندما اقترحت إدارة بايدن تكاليف الدفاع، كانت الصين التهديد الرئيسي لمصالح الولايات المتحدة [٩]، وخلال زيارة إلى تايلاند وماليزيا وإندونيسيا في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢١م، أكد وزير الخارجية الأمريكي مجددًا أن الولايات المتحدة ستعمل مع شركائها لضمان أن تكون المنطقة مفتوحة ومتاحة لأي شخص[١٠].

أما بالنسبة للصين، فإن السياسة التي قام بها حتى الآن في الجوانب الاقتصادية والسياسية والعسكرية هي من أجل الحفاظ على مصالحها في منطقة المحيطين الهندي والهادئ مثل:

أولًا: الحفاظ على السيادة والسلامة الإقليمية من خلال تعزيز الأمن في مناطق الحدود البرية مثل ميانمار وفيتنام ولاوس، فضلًا عن الحدود البحرية لشرق الصين وبحر الصين الجنوبي.

ثانيًا، تحتاج الصين أيضًا إلى الحفاظ

٨ كاي هي ولي مينغجيانغ، «أربعة أسباب لماذا المسائل الهند والمحيط الهادئ في عام ٢٠٢٠ | مدونة أوب»، ٢٠٢٠، https://oup.blog/2020/02/the-four-reasons-why-indo-pacific-matters-in-2020/.

٩ علي حرب، «الإنفاق العسكري الأمريكي ينمو مع تحول السياسة إلى «الأولويات الصين»، تم الوصول إليها في ٢٢ يناير ٢٠٢٢، https://www.aljazeera.com/news/2021/12/16/us-military-spending-grows-as-policy-shifts-to-prioritise-china.

١٠ «برق ينتقد الصين «العدوانية»؛ يتعهد أقوى العلاقات الهندية الهادئة»، الوصول إليها ٢٢ يناير ٢٠٢٢، https://www.aljazeera.com/news/2021/12/14/blinken-vows-stronger-economic-defence-in-alliances-in-indo-pacific.

على استدامة تنميتها الاجتماعية والاقتصادية من خلال التجارة والاستثمار. ففي جنوب شرق آسيا، على سبيل المثال، تعدُّ بلدان مثل سنغافورة وماليزيا وفيتنام وتايلاند وإندونيسيا شركاء اقتصاديين مهمين للصين. وبالإضافة إلى ذلك، في مجال الاقتصاد البحري، تعتمد الصين اعتمادًا كبيرًا على مضيق مَلَقا كطريق للنقل لواردات النفط؛ بحيث تصبح إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وتايلند تلقائيًّا دولًا مهمة للصين. وبالإضافة إلى ذلك، وكطريق بديل، أصبحت بورما/ميانمار هدفًا للنقل البري من المحيط الهندي إلى الصين[١١].

العلاقات بين الولايات المتحدة والصين

من الناحية التاريخية، بدأت العلاقات بين البلدين بالصراعات، وخاصة خلال حقبة الحرب الباردة، بسبب الاختلافات في الأيديولوجيا والمصالح السياسية. كانت الصين في الاتجاه الأيديولوجي للشيوعيين مع الاتحاد السوفياتي الذي دعم انتشار الشيوعية، وخاصة في جنوب شرق آسيا وشرق آسيا. وكانت الولايات المتحدة تقود الاتجاه الرأسمالي. وتؤثر هذه الاختلافات الأيديولوجيَّة تلقائيًّا أيضًا على المصالح بين البلدين.

وقد تحسنت العلاقات فى السبعينات ما جعل الولايات المتحدة تسمح للصين بدخول الأمم المتحدة. وقد شهدت بداية الآونة الأولى من القرن الأول علاقات تجارية مكثَّفة، وأفسحت الولايات المتحدة المجال أمام الصين لتصبح عضوًا فى منظمة التجارة العالمية[١٢].

إن دخول الصين في السياسة التجارية للرأسمالية العالمية يعود بالفائدة على البلاد كثيرًا، كما أن نصيب الفرد من الدخل سيستمر في الارتفاع، وهو قادر على قلب موقف اليابان باعتبارها ثاني أقوى دولة اقتصاديًّا بعد الولايات المتحدة. وحتى مع هذه الإنجازات الاقتصادية، من المتوقع أن تأخذ الصين صفة تولي حاكم الاقتصاد العالمي من أيدي الولايات المتحدة لعقود قادمة. ووفقًا للشركة الاستشارية في المملكة المتحدة، مركز البحوث التجارية والاقتصادية، ٢٠٢٢م، فإن الناتج المحلي الإجمالي للصين سيزداد بنسبة ٥,٧٪ في المتوسط كل عام حتى عام ٢٠٢٥م، ومتوسط ٤,٧ في المائة حتى عام ٢٠٣٠م. وفي ذلك العام، ستكون الصين البلد الذي له اقتصاد مع عالم واحد يتفوق على الولايات المتحدة[١٣].

في السنوات الأخيرة، كانت الصورة المهيمنة المتعلقة بالعلاقات بين الولايات المتحدة والصين هي قضية المنافسة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وحقيقة أن علاقة الاعتماد الاقتصادي بين البلدين لا تزال مستمرة. لقد حدث الأمر حتى هذه اللحظة،

١١ بوني لين وآخرون، الاستجابات الإقليمية للمنافسة بين الولايات المتحدة والصين في منطقة المحيطين الهندي والهادئ: نظرة عامة على الدراسة واستنتاجاتها، الاستجابات الإقليمية للمنافسة بين الولايات المتحدة والصين في منطقة المحيطين الهندي والهادئ: نظرة عامة على الدراسة واستنتاجاتها، ٢٠٢٠، https://doi.org/10.7249/rr4412.

١٢ «الجدول الزمني: العلاقات الأمريكية مع الصين ١٩٤٩-٢٠٢١»، مجلس العلاقات الخارجية، تم الوصول إليه في ٢٢ يناير ٢٠٢٢، https://www.cfr.org/timeline/china-relations-us.

١٣ رالف جينينغز، «الاقتصاد الصيني يمكن أن يتجاوز الاقتصاد الأمريكي بحلول عام ٢٠٣٠»، VOA، ٤ يناير ٢٠٢٢، https://www.voanews.com/a/economy-us-overtake-could-economy-chinas-by-2030/6380892.html.

وتظهر بيانات عام ٢٠٢٠م أن الصين هي ثالث أكبر هدف تصدير للسلع الأمريكية بقيمة ١٢٤,٥ مليار دولار، بزيادة قدرها ١٦,٩٪ عن عام ٢٠١٩م. وبالنسبة للصين، تعد الولايات المتحدة أكبر مورد للسلع مثل الآلات الكهربائية وآلات الألعاب والمعدات الرياضية والأثاث والفرش وسلع النسيج[١٤]. كما ترى الشركات الأمريكية أن الصين سوق كبيرة وواعدة، بينما تحتاج الصين من ناحية أخرى إلى استثمارات أجنبية ضخمة من الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية[١٥].

وفي مجال التعليم، وصل عدد الطلاب الصينيين الذين يدرسون في الولايات المتحدة إلى ٣٧٠ ألف شخص في (٢٠١٩-٢٠٢٠م)، وهو ما يمثل ٣٤٪ من جميع الطلاب الأجانب في الولايات المتحدة. ولا يزال التعاون البحثي بين البلدين مستمرًّا بما في ذلك في عهد كوفيد ١٩.

مستقبل المعركة الولايات المتحدة - الصين

وفي المعركة بين الولايات المتحدة والصين، يبدو أن الصين تحاول الرد دفاعيًّا على الموقف الأمريكي، أي هجمات دعائية أمريكية أو أعمال استفزازية أمريكية لتصعيد التوترات، مثل التدريب العسكري المشترك، والهجمات على حقوق الإنسان، والتجارة، وغيرها، كذلك وردَّت الصين بشكل تصادمي. لقد دافعت الصين دائمًا عن نفسها وأعربت عن موقفها المنفتح والتعاوني، وهي مستعدة لطرح أي قضايا على طاولة المفاوضات. ومن ناحية أخرى، ردَّت الصين أيضًا على زيادة التعاون العسكري الأمريكي كشكل من أشكال الاستفزاز الذي عطَّل استقرار منطقة المحيطين الهندي والهادئ.

وفي السياسة الدولية، من الطبيعي حدوث تغيير في الهيكل السياسي فيأتي وقت يتم فيه استبدال قوة عظمى ناشئة بالقوة العظمى المهيمنة. وإذا نظرنا إلى الوضع الحالي للصين، وبالمقارنة مع الولايات المتحدة، لا تزال الصين في الخطوات الأولى نحو قوة عظمى عالمية. هذا ما تمَّت قراءته؛ لذا تحاول الولايات المتحدة إجهاض هذه الخطوة الصينية حتى لا تصل إلى ظروف لا يمكن احتواؤها بعد الآن.

وبالنظر إلى موقف الولايات المتحدة تُجاه الصين وسياستها الاستراتيجية في منطقة المحيطين الهندي والهادئ لوقف الصين، ستواصل الولايات المتحدة في المستقبل تأجيج المنافسة إلى أن تصل الصين إلى المستوى الذي لا يضر بمصالح الولايات المتحدة في المنطقة وعلى الصعيد العالمي على حد سواء. وستواصل الولايات المتحدة استخدام قضية حقوق الإنسان في بحر الصين الجنوبي كجزء من رواية سياسية لضرب الصين. كما ستواصل الولايات المتحدة تعزيز التعاون العسكري مع

١٤ الممثل التجاري للولايات المتحدة، «جمهورية الصين الشعبية: حقائق تجارية بين الولايات المتحدة والصين»، الممثل التجاري للولايات المتحدة، اطلع في ٢٢ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٢، http://:countries/gov.ustr-china-republic-peoples/taiwan-mongolia-china/regions.

١٥ «حرب باردة جديدة»؟: كيف يتعمق النزاع التجاري بين الولايات المتحدة والصين»، الذي تم الوصول إليه في ٢٢ يناير/كانون الثاني ٢٠٢٢، https://:www.aljazeera.com/economy/٢٠٢٠/٦/٢٩/how-the-trade-war-china-us-is-deepening-dispute-new-cold-war.

اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا والهند وتعاون (AUKUS) للضغط على الصين.

موقف المسلمين

إن سياق التنافس بين الصين والولايات المتحدة على نطاق واسع هو سياق المنافسة في الحضارة العلمانية للرأسمالية، أي أن المنافسة التي تحدث بين هذين البلدين لا تسهم إسهامًا كبيرًا في إنقاذ البشرية وإسعادها، بل قد تكلِّف أرواحًا كثيرة. كمثل ما حدث من صراعات وقعت في النظام الرأسمالي منذ قرون مضت حتى الآن.

كما تواجه كلٌّ من الصين والولايات المتحدة الآن العديد من المشاكل الداخلية التي يمكن أن تدمر البلاد من الداخل. مثل التفاوتات الاجتماعية العالية في المجتمع، وانخفاض معدلات ولادات الرضَّع، والتفكُّك الأخلاقي، والجريمة، والبطالة، وتلوُّث الهواء، وما إلى ذلك.

في تقرير مقياس الثقة في إيدلمان (٢٠٢٠م) حول استجابة المجتمع العالمي للرأسمالية مع ٣٤,٠٠٠ شخص من ٢٨ دولة، خلصوا إلى أن ٥٦٪ من الجمهور وافقوا على أن الرأسمالية أكثر تدميرًا. كما أن وجهات النظر حول الديمقراطية هي نفسها؛ حيث أفاد مركز بيو للأبحاث (٢٠١٩م) عن نتائج الأبحاث من ٢٧ دولة مع أكثر من ٣٠ ألف مشارك أظهروا أن ٥١٪ غير راضين عن الديمقراطية، و٦٠٪ رأوا أن الانتخابات لا تسفر عن تغيير، و٥٤٪ رجحوا أن يكون السياسيون فاسدين. ويعتبر هذا الموقف من المجتمع جزءًا من سبب تدهور نوعية الديمقراطية في البلدان على الصعيد العالمي.[١٦]

ومن ناحية أخرى، تتزايد التطلعات نحو تطبيق الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي، ويمكن رؤية ذلك من خلال الدور المتزايد للحركات الإسلامية في القيام بدور في السياسة في مختلف البلدان الإسلامية. كما تظهر الدراسات الاستقصائية أنه في مختلف البلدان الإسلامية كانت هناك زيادة في الوعي بين المسلمين. والحقيقة الأخيرة هي انهيار النظام العلماني في أفغانستان الذي حافظت عليه الولايات المتحدة وعودة طالبان كحاكم. ومن العوامل المساهمة في ذلك المسلمون الأفغان الذين هم أكثر استعدادًا لأن يحكمهم الإسلام من أن يحكموا بقوانين لا تأتي من الله سبحانه وتعالى.

في مواجهة المنافسة بين الصين والولايات المتحدة، لا ينبغي أن يكون المسلمون محكومين بخيار الوقوف إلى جانب إحدى هاتين الدولتين؛ لأن كليهما جزء من مشكلة الحضارة العلمانية الموجودة اليوم. لقد حان الوقت للمسلمين أن يكون لهم أجندتهم الخاصة التي تضرب بجذورها في التعاليم النبيلة للإسلام، والتي كانت عاملًا حاسمًا في تألُّق الحضارة الإسلامية على مدى ١٤ قرنًا. ■

١٦ ويك ريتشارد، لورا الفضية، وكاستيلو الكسندر، «كثير من الناس في جميع أنحاء العالم غير سعداء مع كيف تعمل الديمقراطية | مركز بيو للأبحاث»، ٢٩ أبريل/نيسان ٢٠١٩، https://www.pewresearch.org/global/2019/04/29/many-across-the-globe-are-dissatisfied-with-how-democracy-is-working/.

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام الاقتصادي الأمثل
(صور من النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي) (٤)

د. محمود عبد الهادي

الشركات المساهمة من بلايا الرأسمالية على العالم

إن المساهمة هي من بلايا هذا النظام على العالم، وواقعها وقوانينها تنطق أنها لم تكن إلا لأجل منافع الأثرياء الجشعين ولتيسير نهبهم للمال وزيادة فرصهم لذلك. وهي تقدم للأثرياء المستثمرين إمكانية زيادة رأسمالهم من أموال الناس ليكبر حجم رأسمالهم فتزداد أرباحهم على حساب المساهمين الذين يُلقى إليهم الفُتات، وكذلك هم يتاجرون بأموال الناس بل يغامرون بها إذ جل الخسارة ستكون على أموال الناس. ومجلس الإدارة في هذه الشركة هو الذي ينوب عن الشركة في أعمالها، وهو في حقيقته يمثل المستثمرين الأثرياء فيها الذين يمتلكون إمكانية التصرف بأسهمها وأموالها بيعًا وشراءً، فيقومون بعمليات ترجع عليهم بالأرباح الباهظة ويبيعون أسهمهم وتنتهي علاقتهم بالشركة، فيكونون قد خرجوا منها قبيل خسارتها أو إفلاسها وضياع أموال سائر الشركاء. ففي هذه الشركات كل من يمتلك سهمًا أو أسهمًا يصبح شريكًا، وإذا باع أسهمه يخرج من الشركة ويصبح مشتريها هو الشريك، وليس للشركاء أو حملة الأسهم في هذه الشركات أي ولاء للشركة، وبخاصة مؤسسوها الذين اتفقوا على تأسيسها والمساهمة فيها؛ إذ قد يتحيَّن أي شريك أو - أكثر من شريك - الفرصة المناسبة وقد يصطنعون هذه الفرصة ليبيعوا ما لديهم من أسهم فيها، فتنتهي علاقتهم بها، وقد تحصل الدعاية والترويج للشركة وأسهمها فيرتفع سعر سهمها بغض النظر عن زيادة أو نقصان أملاك الشركة أو موجوداتها. ومن قوانين هذه الشركات بل من شذوذها أنها محدودة المسؤولية، أي أنها عند الخسارة أو وقوعها تحت دين لأي جهات أخرى ومهما بلغ حجم الدين، فليس فيها من يتحمَّل المسؤولية تجاه أصحاب الحقوق عليها، وكل صاحب أسهم يتحمَّل الخسارة فقط بمقدار أسهمه، فحقوق أصحاب الحقوق هي على الشركة التي هي شخصية معنوية وليست على أحد فيها، فلا يمكن مطالبة أحد من أعضاء الشركة سوى بمقدار أسهمه مهما كانت أملاكه غير الأسهم، فإذا ما ضرب أولئك الجشعون المحتالون ضربتهم ونالوا من أموال الشركة ما استطاعوا وباعوا أسهمهم في اللحظة المناسبة وبالسعر الأنسب لهم، فإنهم يصبحون خارج الشركة وتنقطع علاقتهم بها، ثم تبدأ الشركة بالانكشاف ويتدهور سعر سهمها، فيخسر أصحاب الأسهم أموالهم، كما يخسر أصحاب الحقوق عند

الشركة حقوقهم التي قد تكون قروضًا ضخمة وأثمانًا كبيرة، فلا يحصلون إلا على ما تبقي من أملاك الشركة والتي قد تكون أصلًا مجرد أرقام وتسجيلات خداع وتلاعب، وبحسب قوانين هذه الشركات فهم لا يستحقون غير هذا المتبقي لأن الشركة محدودة المسؤولية. هذا البيان السريع للشركات المساهمة يوضح أنها من أهم أسباب الاحتيال للقيام بعمليات نهب أموال الناس والقيام بحركات مقصودة لأجل الربح الهيِّن والسريع على حساب خسائر الناس.

قوانين الإفلاس لصوصية بالقانون

ومما يزيد بيان فساد هذا النظام قوانين الإفلاس التي يطبقونها ويفرضون تطبيقها على سائر دول العالم لتسهيل عملياتهم في النهب واللصوصية من غير أن يتحمَّلوا أي مسؤولية، ويسمونها قوانين حماية للمستثمرين والتجار، ويخادعون بأنها لتشجيع الاستثمار ودخول الأموال للبلاد، وأنها لازمة للتنمية ومعالجة الاقتصاد في البلد، ويتدخل البنك الدولي لفرضها باعتبارها من وصفات العلاج والتقدم والقضاء على الفقر، وما هي إلا لتقنين وتسهيل أكل أموال الناس بالباطل ونهب الثروات، ولحماية أصحاب هذه العمليات الأثرياء الغربيين ومؤسساتهم. فتقضي قوانين الإفلاس أن الشركة أو المستثمر إذا زادت ديون مؤسسته عن موجوداتها أو أصبح غير قادر على السداد فإنه يكون مفلسًا، وبمجرد إعلان أن الشركة أو المؤسسة أو التجارة مفلسة فإن القانون يتدخل لحمايتها من الدائنين وأصحاب الحقوق، وتضيع حقوق الناس، في حين إن مدير الشركة أو المسؤولين عنها يكونون أغنياء وأصحاب مؤسسات أخرى، بل غالبًا ما يكونون هم أصحاب الحيل لنهب أموال الشركة ثم إعلان إفلاسها، فتضيع حقوق الناس، ويذهبون هم لإعادة كرة الاحتيال والنهب بعمليات جديدة في نفس البلد أو في غيره.

إن الوقائع الشاهدة على ما سبق متلاحقة لا تتوقف ولا تنحصر، ولكنني أذكر مثالًا واحدًا عليه، وهو ما حصل في بنك ليمان براذرز الذي أفلس إبان الأزمة المالية العالمية سنة ٢٠٠٨م، وقد كان رئيس البنك ريتشارد سيرفين ديك فولد قد أغرق البنك في عمليات الرهن العقاري عالي المخاطر ما أدى إلى انهيار البنك وإفلاسه، ولكنه كان قد حصل لنفسه قبل إعلان إفلاس البنك على تعويضات مقدارها ٥٠٠ مليون دولار، ورشح عن أخبار التحقيقات حصول تلاعب وحيل بمئات المليارات.

وعلى سبيل المثال أيضًا نشرت الصحف الكويتية بتاريخ ١٠ و٢٠١٣/١١/١١م مطالبة البنك الدولي للكويت بسن قانون إفلاس عصري، ومما جاء في الخبر: «...يؤكد القاضي تشارلز كيس المتقاعد حديثًا من محكمة الإفلاس في أمريكا والعضو في فريق البنك الدولي على الحاجة لقانون جديد بالكامل للشركات المعسرة حيث قال: « الأحكام الحالية

في القانون التجاري القائم تركز على التصفية والجزاء والإجراءات المطوَّلة، ولكي تصبح الكويت مركزًا ماليًا فإنها تحتاج إلى قانون عصري يشجع على إعادة تأهيل المؤسسات القابلة للنجاح والتصفية الفورية للمؤسسات غير القابلة للاستمرار، وفسح مجال أوسع للمدين ودائنيه لطرح آراء واقتراحات للجوء للقضاء»».

كذلك نشر موقع أربيان بيزنس في ٢٠١٤/٢/١٢م أن الملياردير البريطاني السير ريتشارد برانسون عبر عن دهشته لعدم وجود قوانين إفلاس في الإمارات، وأشار لموقع أربيان بيزنس أنه أصيب بالذهول لعلمه أنه لا يوجد لدى الإمارات قانون ناظم للإفلاس، وأن تأمين حماية من الإفلاس هو أولوية مهمة حيث هناك حاجة ملحة لتوليد وظائف جديدة، وقال: «أنا منذهل لسماعي أنه لا يوجد قانون إفلاس، فالذي نقل بريطانيا إلى مستوى آخر عام ١٨٥٠م هو قانون الإفلاس الذي حمى الناس من السجن في حال تعرَّضوا لضائقة مالية لمنحهم فرصة أخرى للمحاولة بتأسيس شركة أخرى».

وهذا من حيلهم ومخادعاتهم لفرض القوانين والنظم التي تحميهم وتحمي أموالهم وتمكنهم من تقديم المشاريع البراقة تحت عناوين الاستثمار في البلاد التي تتمتع بثروات كبيرة، أي فيها قابلية النهب والسطو عليها والخروج السريع بأرباح كبيرة، فتتضافر أنظمة البنوك الربوية والشركات المساهمة وقوانين الإفلاس لتسهل لهم لصوصيتهم التي ما زالوا يتقلبون يكررونها في البلاد، وهو ما حصل في بلدان جنوب شرق آسيا عام ١٩٩٧م، عندما غزتهم في الأسبوع الأخير من شهر تشرين أول أزمة مالية سريعة بهبوط حاد للأسهم في الأسواق المالية الكبرى، جعلت أصحابها يتضرجون بقهرهم وفقرهم، وقد خسروا ممتلكاتهم بمئات المليارات وكأنهم هزموا هزيمة منكرة في حربٍ عظيمة.

مثال عملي على خدع ومؤامرات النهب الرأسمالي المدمرة

فعلى سبيل المثال يتفق بعض حيتان المال من أصحاب البنوك وكبار المستثمرين الغربيين على إنشاء صندوق مالي ضخم وينشئون شركة مساهمة أو أكثر، ثم يعمدون إلى الترويج لأسهم هذه الشركات عبر أجهزتهم الإعلامية ويقدمون البيانات الموجهة لمصلحتهم مما يغري الناس بالأسهم التي يرَون سعرها يرتفع، ويأتي دور البنوك التي تزيد الإغراء إغراءً بتقديم الطعم الدسم وبخاصة للأثرياء وأصحاب الممتلكات الكبيرة، ومما تقدمه أن من يشتري أسهم هذه الشركات فالبنك يقدم له قرضًا يساوي تسعة أضعاف المبلغ الذي اشترى به؛ وذلك ليزيد ما اشتراه من أسهم بنفس النسبة. وأمام هذا الإغراء وأمام البيانات الدورية السريعة التي تتحدث عن ارتفاع أسعار هذه الأسهم ينجذب المخدوعون ويُقبلون على شرائها، ويبتلعون الطُعمَ بنهم ليتفاجؤوا بعد فترة أن ذلك الدسم

إنما كان غلالة خارجية تخفي تحتها السم الزؤام، أو مجرد فقاعة منفوخة.

فإذا قام مستثمر صغير بشراء ١٠٠٠ سهم وكان سعر السهم ١٠ دولارات، فيقدم للبنك مبلغ ١٠,٠٠٠ دولار ويقدم له البنك ٩٠,٠٠٠ دولار، فيشتري ١٠,٠٠٠ سهم بدل الـ ١٠٠٠. ثم تسير المؤامرة فيرتفع السهم دولارًا مثلًا، فيكون ربح هذا الشخص ١٠,٠٠٠ دولار، ويكون حسابه المودع من غير القرض ٢٠،٠٠٠ دولار، ويستحق مقابله من البنك ٩ أضعافه أي ١٨٠,٠٠٠ دولار في حين البنك سبق أن قدم له ٩٠,٠٠٠ دولار، فيقدم له البنك قرضًا أضافيًا بالفرق وهو ٩٠,٠٠٠ دولار على شكل أسهم بسعر ١١ دولارًا للسهم، أي أنه يحصل على ٨,١٨٢ سهمًا جديدًا، ويكون له ١٨,١٨٢ سهمًا في الشركة. وتنتشر الأخبار بجدوى الاستثمار في هذه الشركة ويُقبل المزيد على أسهمها فيرتفع سعر السهم مرةً أخرى، وإذا افترضنا ارتفع السهم دولارين، يصبح رصيد هذا الشخص: ١٨,١٨٢× ١٣ = ٢٣٦,٠٠٠ دولار تقريبًا. ويكون حسابه المودع له من غير القرض: ٢٣٦,٠٠٠- ١٨٠,٠٠٠ = ٥٦,٠٠٠ دولار. فيستحق من البنك ٩ أضعافه: ٥٦,٠٠٠×٩ = ٥٠٤,٠٠٠ دولار، بينما ما قدمه له البنك هو ١٨٠,٠٠٠ ألفًا، فتزداد أسهمه بما يعادل: ٥٠٤,٠٠٠ – ١٨٠,٠٠٠ = ٣٢٤,٠٠٠ دولار. فتزداد أسهمه: ٣٢٤,٠٠٠ ÷ ١٣ = ٢٤,٩٢٣ سهمًا، ويصبح مجموع أسهمه في الشركة ٤٣,١٠٥ سهمًا، بسعر ١٣ دولارًا للسهم، وبذلك فهو يرى أن له في البنك ٥٦٠,٠٠٠ دولار، وعليه منها للبنك ٥٠٤,٠٠٠ دولار، فيبقى له ٥٦,٠٠٠ دولار، وبذلك فأرباحه السريعة تكون ٤٦,٠٠٠ دولار جاءت من استثمار ١٠,٠٠٠ دولار فقط، إن الأمر مشجع للأغبياء والجهلة بل ولغيرهم.

إن الذين يقفون خلف هذه العملية المبيتة والمدروسة والمتابَعة بدقة يختارون الوقت المناسب ليتخلصوا مما لديهم من أسهم، فيُقدمُ الناس على شرائها وهي في أعلى أسعارها، فيبيعها هؤلاء ويرحلون وتنتهي صلتهم بالشركة إذ هي شركة مساهمة. وتتوقف الأخبار عن الشركة وأسهمها، وتبدأ أسعار الأسهم بالانخفاض. فإذا ما أُعلن عن انخفاض سعر السهم دولارًا واحدًا. فإن الشخص المذكور أعلاه تصبح قيمة أسهمه ٤٣,١٠٥ × ١٢ = ٥١٧,٠٠٠ دولار تقريبًا، وينبغي أن يكون قرض البنك له تسعة أعشار هذا المبلغ أي: (٥١٧,٠٠٠ × (٩÷١٠) = ٤٦٥,٠٠٠ دولار تقريبًا، بينما القرض المقدم له هو ٥٠٤,٠٠٠ دولار، فيطالبه البنك بالفرق البالغ ٣٩,٠٠٠ دولار، وهو لا يملكها؛ إذ كل تلك الأرقام التي كانت تدغدغ خياله هي أرقام مسجلة في قيود له كذا وعليه كذا، فيضطر ليبيع من أسهمه تلك بسعر ١٢ دولارًا للسهم، أي لبيع ٣,٢٥٠ سهمًا ليسدِّد ما عليه للبنك، ولكن المفاجأة أنه في هذه

اللحظة أصاب الآلافَ ما أصابه، فيحصل تهافت في السوق على البيع وتنتشر الأخبار بهبوط سعر سهم هذه الشركة وبالخطر على حملة هذه الأسهم، وقبل أن يجد من يشتري أسهمه بسعر ١٢ دولارًا تأتيه إخطارات البنك بأن سعر السهم صار مثلًا ٩ دولارات، وعليه فإن أسهمه البالغة ٤٣,١٠٥ تعادل ٣٨٧,٠٠٠ دولار تقريبًا، ويستحق مقابلها من البنك تسعة أعشارها أي ٣٤٩,٠٠٠ دولار تقريبًا، بينما القرض المقدم له ٥٠٤,٠٠٠ دولار، فعليه أن يسدد الفرق وهو ١٥٥,٠٠٠ دولار تقريبًا، أو أن يبيع من أسهمه بهذه القيمة ليسدد للبنك. فصار عليه أن يبيع ١٧,٢٢٢ سهمًا. ويكون سوق هذه الأسهم بحالة فوضى عارمة والكل يسارع للتخلص من أسهمه، فيزداد انخفاض سعر السهم بحدة وبشكل شبه عامودي، وهكذا إلى أن ينتهي الأمر بعرض السهم ببضعة سنتات ولا من يشتريه. ويخطر البنك هذا الشخص بأنه عليه أن يسدِّد للبنك ٥٠٤,٠٠٠ دولار عدا الفوائد المترتبة على هذا المبلغ، وعدا رأسماله ١٠,٠٠٠ دولار الذي فقده، فيضع البنك يده على ممتلكاته بما يكفي لسداد المبلغ إن وُجدت. وهذا بالنسبة لمستثمر بـ١٠,٠٠٠ دولار، فإن كان المبلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار فسيزيد المبلغ المطلوب سداده للبنك عن ٥ ملايين دولار وهكذا. هذا يحصل مع عشرات آلاف الواثقين بهذه البنوك وبهذه الشركات الموعودين والطامعين بالربح الهين والسريع. وبهذا لا يفتقر الناس فحسب، وإنما تسقط الدولة بل تسقط دول بين مخالب الدولة التي سهلت لمؤسساتها ومستثمريها هذه العمليات المالية، والتي تتخذ مما جرى ذريعةً لتضع يدها على ثروات الشعوب في باطن الأرض وعلى ظهرها.

تطوير المؤامرات وتضخيم أعمال النهب المدمرة

هذا الطمع بتحقيق أرباح هائلة عبر عمليات مالية سريعة، حفَّز كبار الأثرياء إلى التعاون لإنشاء صناديق مالية ضخمة تمكِّنهم من التحكُّم بحركة السوق وبالأسعار بشكل يضمنون فيه الأرباح، فظهر في مطلع خمسينات القرن الفائت ما يسمى صناديق التحوُّط (Hedge Funds) وهي صناديق يشترك فيها حوالى٥٠٠ مستثمر بما لا يقل عن نصف مليون دولار للواحد، وتسلَّم إدارتها لمدير مالي من كبار الأثرياء الخبراء بحيث لا يُراجع ولا يُلام في تصرفاته، ووظيفتها القيام بأعمال الاستثمار المالي مضمونة الربح كما يدل اسمها، وقد ازدادت هذه الصناديق عبر العالم لتتلاعب بالمال والنقد والأسهم والفوائد والأسعار والاقتصاد، وليس هناك أحصاء موثوق لعددها ولكنها تزيد عن عشرة آلاف. وبهذا كان التوجه في العالم إلى منع المال عن الاقتصاد الحقيقي المنتِج وإلى فورة في الاقتصاد الطفيلي؛ ما أدى إلى اضطراب في الأسعار

وتقلبات، وإلى خسائر ومخاوف لدى العاملين والمنتجين في الاقتصاد الحقيقي، وكذلك لدى العاملين والمضاربين في مجالات الاقتصاد الطفيلي غير الحقيقي، فكان هذا فسادًا كبيرًا أصاب العالم كله ويرزح تحت ظلمه ونيره كل فرد في العالم. ودفعت مخاطر فقدان الاستقرار النقدي وتقلُّبات أسعار كل شيء إلى إيجاد وسائل للتحوُّط والتخفيف من هذه المخاطر، فراجت تجارة ما يسمى بالمشتقات المالية (Financial Derivatives)، التي تعاظمت وتحول العالم معها إلى كازينو قمار كبير تصب عائداته في خزائن الأثرياء المتحكمين بالاقتصاد والأسواق.

المشتقات المالية بدع شيطانية جعلت العالم كازينو قمار

ومعنى المشتقات المالية هو عقود مالية (فرعية) مبنية على عقود أساسية موضوعها أدوات استثمارية كأسهم شركات أو سندات... أو تجارة حقيقية كتسليم قمح أو حديد أو نفط... أو ذهب أو نقود، وهذه العقود ليس فيها تسليم سلعة ولا وجود للسلعة أصلًا عند بائعها، وإنما تتم تسوية في تاريخ تنفيذ العقد حيث يكون أحد طرفي العقد رابحًا فيها للفرق بين سعر السلعة المنصوص في العقد وسعرها في الأجل المضروب في العقد للتنفيذ. فإذا افترضنا أن تاجرًا أو مقاولًا تعهَّد بتسليم ١٠٠٠ طن من الحديد لمستفيد بعد شهر وعلى أساس أنه يشتريه من السوق بسعر ١٠٠٠ دولار للطن، فإن تقلُّبات الأسعار وقابليتها للارتفاع تجعله يحجم خوف الخسارة، فقد يخشى المقاول أو يتوقع ارتفاع الحديد في السوق عند موعد تسليمه مثلًا إلى ١١٠٠ دولار للطن، وسيخسر أو يعجز عن الالتزام، وليحتاط ضد الخسارة يلجأ إلى العقد (الفرعي) فيشتري من البورصة، أو ممن يبيع بعقد من عقود المشتقات المالية، ١٠٠٠ طن بسعر بسعر ١٠٠٠ دولار للطن، وعلى أن يكون تنفيذ التسليم بنفس أجل تسليمه هو للكمية بالعقد الأصلي. فإذا حلَّ أجل تسليمه الحديد للمستفيد وكان السعر في السوق ١٠٥٠ دولارًا للطن، فهذا يعني خسارته ٥٠,٠٠٠ دولار؛ ولكن عقده المستقبلي في سوق المشتقات يقضي بأن يستلم الألف طن من ذلك البائع؛ ولكن ذلك العقد ليس فيه سلعة ولا استلام ولا تسليم، وإنما فيه تسوية، والتسوية هي أن يحصل من البائع على ٥٠,٠٠٠ دولار، لأن العقد نص على استلام ١٠٠٠ طن بسعر ١٠٠٠ دولار للطن، وبما أن الطن ارتفع ٥٠ دولارًا، فتكون العملية هي فقط ربح ٥٠,٠٠٠ دولار. وبهذا يكون المقاول بهذا العقد قد احتاط من الخسارة التي لحقت بغيره.

إلا أنه قد يحصل أن يهبط السعر في السوق إلى ٩٥٠ دولارًا للطن مثلًا، وفي هذه الحالة فإن البائع في سوق المشتقات

باع للمقاول بسعر ١٠٠٠ دولار، وبما أنه لا يوجد في هذا العقد أي سلعة حقيقة وإنما هي عملية مقامرة، تكون التسوية بأن يحصل البائع من المقاول على ٥٠,٠٠٠ دولار، ولكنه سيوفرها من سوق الحديد الحقيقي الذي هبط فيه السعر ٥٠ دولارًا للطن؛ لأجل هذا يدافع المروِّجون لهذا المبتكرات عنها بذريعة أنها احتياط ضد المخاطر. بينما الحقيقة هي أن هذه المعاملات وضروبها قد طغت على المعاملات المالية وصارت لها بورصاتها وأماكنها المفصولة تمامًا عن أي تحوُّط أو عقد أصلي. ثم تفتَّقت عبقريات هؤلاء الشياطين عن ابتكارات أخرى على سبيل تشجيع هذه المقامرات فابتكروا ما يسمى عقد الخيار؛ خيار البيع أو خيار الشراء. فعلى سبيل المثال، المقاول المذكور أعلاه، يجد أنه في حال ارتفع سعر الحديد في السوق فمن مصلحته إنفاذ العقد لتعويض خسارته؛ ولكن في حال هبوط السعر في السوق فهذا يزيد من أرباحه؛ ولكنه يخسر هذه الزيادة بسبب عقده المستقبلي في سوق المشتقات؛ لذلك نشأ عندهم عقد الخيار، وهو أن المقاول يكون له حق لإنفاذ العقد عندما يحلُّ أجله وله حق عدم إنفاذه، ولكنه بهذه الحالة عليه أن يدفع مبلغًا يتفق عليه مقابل كل طن، ولنفترض المبلغ ٣٠ دولارًا. فيقوم المقاول بتحرير عقد لشراء لألف طن بسعر ١٠٠٠ دولار للطن إلى الأجل المحدد، ويبيعه لمن يشتريه، وعند الأجل إذا ارتفع سعر الحديد في السوق فمن مصلحته إمضاء العقد، وعليه أن يدفع لشاري العقد ٣٠,٠٠٠ دولار، أما إذا انخفض السعر فمصلحته بعدم إنفاذ العقد بل سيشتري الحديد من السوق ولكن عليه أن يدفع الـ ٣٠,٠٠٠ دولار.

وقد دخلت هذه العقود والخيارات في شتى المعاملات؛ في أسهم الشركات وأسعار العملات وفي التغيرات التي تطرأ على الفوائد، إضافة إلى أسعار السلع والخدمات وكل ما يمكن أن يخطر بالبال، وتعقدت، وتعقدت حساباتها، ونشأت مؤسسات كبيرة عليها، وصارت بحاجة إلى متخصصين في الرياضيات لحساباتها ولدراسة الأسواق وحركات التغيُّر في الأسواق وفي الأسعار، ووضع لأجل ذلك معادلات رياضية بعيدة جدًا عن الدقة أو الإصابة في محاولات يائسة ولا نفع فيها لتوقع الأسعار وحركة المال في آجال محددة.

الإسلام يحرم عقود المشتقات المالية كلها

هذه العمليات ليس فيها قبض للسلعة ولا للمال، ولا وجود فيها للسلعة أصلًا؛ لذلك فهي محرمة، ولا سبيل إلى قبولها شرعًا وإن أفتى بها أو برَّرها بعض المهزومين أمام الغرب وأفكاره، وهي ابتكارات أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة وموظفيهم الخبراء الذين يتعاونون على الآثام فيُنشئون الصناديق الضخمة ويَدخلون بها الأسواق، ولضخامة إمكاناتهم

وخبرتهم ونفوذهم يؤثرون بحركة السوق ويفتعلون تغيير الأسعار برفع سلع معينة أو خفضها، فيضخُّون ثروات البلاد وأموال الناس إلى صناديقهم، وتساعدهم في ذلك الدول الرأسمالية ذات النفوذ بما تفرضه من قوانين وسياسات اقتصادية ومالية تحت عناوين اقتصاد السوق وحرية السوق المطلقة والانفتاح وتشجيع الاستثمار. وقد صار هذا النوع من الاقتصاد الطفيلي يؤثر على الأسعار الحقيقية للأشياء وبالتالي على مصائر الشعوب وثرواتهم.

كان من نتائج إتاحة هذه الأنماط من الفكر الاقتصادي الحدُّ من النشاط الاقتصادي المنتج وإضعافه بشكل كبير، وشجَّعت كبار الأغنياء على سلوك هذه الأساليب لأجل الربح السريع والضخم من غير اكتراث بآثاره الوخيمة على البشر، بل وشجعت على إيجاد أفكار جديدة وابتكار أساليب جديدة لجعل الأموال في العالم تتحرك باتجاه واحد ودائم هو إلى صناديقهم. وصارت معالجة البطالة بإيجاد فرص عمل تعني أيَّ عمل يحصل منه العامل على المال بغير أي اكتراث بواقع هذا العمل، فانعدمت القيم الروحية أو المعنوية كما انعدمت القيمة الخلقية، وارتفعت نسبة الأعمال التي لا تنتج للناس شيئًا سوى الضرر بعد الضرر، فكان وجود هذه الأعمال أشد ضررًا على المجتمع من البطالة أو الغلاء أو اضطراب النقد والأسعار، وضررها يطال العالم بأسره.

الرأسمالية نظام فاحش منتن، ونُذُر انفجاره تلوح وتقترب بسرعة

إن الاقتصاد القائم اليوم على النقود الورقية غير المغطاة بالذهب وعلى الربا المتفشي في العالم وعلى الشركات المساهمة أدى إلى هيمنة الاقتصاد المالي الطفيلي على الاقتصاد الحقيقي، وإلى ضرب الاستقرار النقدي، وإلى اضطراب حركة الاقتصاد في العالم وخسائر كبيرة لصالح حيتان المال الجشعين، يضاف إلى ذلك العمليات المقصودة للتلاعب بأسعار سلع رائجة كالذهب والنفط وغيرها والتي ينتج عنها تقلبات مفاجئة في أسعار السلع والنقود، هذا كله أدى إلى خوف من التجارة الحقيقية فتراجعت أعمال الاقتصاد الحقيقي لصالح الاقتصاد الطفيلي أو الوهمي أو الرقمي الذي صار يشكل أكثر من ٩٨٪ من حجم الاقتصاد الكلي بينما يشكل الاقتصاد الحقيقي أقل من ٢٪ منه، ولقد تتابعت الأزمات الاقتصادية والخسائر الضخمة خلال العقود الماضية، وإن نذر انفجار عالمي أضخم من كل ما سبق يلوح ويصفق.

هذا غيض من فيض من فحش النظام الاقتصادي الرأسمالي والنَّتن الذي آل إليه، ومع ذلك ينعق بعض المهووسين بالغرب وبأنظمته وبعض الرويبضة بذكر هذا النظام باعتباره

عبقريةً ونتاجَ تطور وعلم وإبداع. ويقولون إنه استثمار، وما هو باستثمار، ولكنهم بين كذَّاب أَشِر ومخدوع ومخادع، فيقولون إنه استثمار غير مباشر، وما هو إلا خداع وتجارة بالأوهام، هو قمار تصاغ له قوانينه وتقام له مبانيه ومنشآته، وقد انتشر وتشعب هذا النوع من القمار حتى صارت له بورصاته العالمية والمحلية، وصار العالم بهذه الممارسات كازينو قمار كبيرًا، تتحرك فيه الأموال بمئات المليارات، وليس ثمة مال وإنما هي أرقام؛ ولذلك سُمِّيت هذه العمليات المشتقات المالية، وسُمِّي هذا الاقتصاد الاقتصاد الطفيلي، وهو الأعمال التي تنشأ وتنمو بجانب الاقتصاد الحقيقي. إلا أن ما أنتجه النظام الرأسمالي من ألاعيب وحيل جعل هذا الاقتصاد الطفيلي ينمو ليصبح أكبر من الاقتصاد الحقيقي في العالم بكثير، وغزا فساده وضرره كل جوانب الحياة في كل زوايا العالم؛ ليأكل أموال الناس بالباطل ولينهب الثروات، وينشر القلق والفزع والاضطراب عند كل الناس، ويضيع الحقوق ويقضي على كل مكرمة وفضيلة، وإن ما بلغه هذا النظام من ظلم وجور وقضاء على الحياة وإنسانية الإنسان لينذر بكوارث لا قِبل للبشر بها، ولا ينقذ منها إلا العودة إلى الله سبحانه، وإلى أمره ونهيه وما أنزله ليحيا عليه الناس. قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴿٤٢﴾﴾.

النظام الاقتصادي الإسلامي نظام الهدى الرباني المنقذ للبشرية:

إن الرأسمالية نظام منبثق من عقيدة كفر هي عقيدة فصل الدين عن الحياة والدولة؛ لذلك فهي وكل ما انبثق عنها من أفكار ونظم وقوانين نظام كفر يحرم أخذها أو تطبيقها أو الدعوة إليها. فشركاتها المساهمة محرمة شرعًا لأنها مخالفة لأحكام الشركات في الإسلام، فالشركة في الإسلام «هي عقد بين اثنين أو أكثر يتفقان فيه على القيام بعمل مالي بقصد الربح»، والعقد فيها يجب أن يكون منصبًا على العمل الذي يقوم به طرفا العقد أو أحدهما،

ولا يصح العقد بغير طرف يقوم بالعمل وهو ما يمثل البدن في العقد. أما الشركة المساهمة «فهي عقد بمقتضاه يلتزم شخصان أو أكثر بأن يساهم كل منهم في مشروع مالي، بتقديم حصة من مال لاقتسام ما قد ينشأ من هذا المشروع من ربح أو خسارة»، وبحسب هذا التعريف لا يوجد عقد شرعي أصلًا فالشركة من أساسها باطلة، لأن العقد الشرعي يجب أن يكون فيه إيجاب وقبول، وهنا لا يوجد إلا قبول من الطرفين ولا يوجد إيجاب، وكذلك من شروط الشركة شرعًا وجود البدن أي الذي عليه العمل، فهذا يجب أن يكون موجودًا كطرف في العقد، بينما أطراف العقد في الشركة المساهمة يمثلان المال فقط ولا يوجد البدن الذي يمثل الإيجاب ويقوم بالعمل، وعليه فالشركات المساهمة باطلة شرعًا من أساسها وتفتقد لركن الإيجاب. وبذلك فقد قضى الإسلام على كل هذه الشرور ومتفرعاتها واستأصلها من أساسها، وحرَّم هذه الشركات وحرَّم التعامل بأسهمها، وبما تفرَّع عنها من عقود خيار.

وكذلك استأصل الإسلام بنظامه وأحكامه رأس البلاء وأس الشرور في كل هذه العقود والمعاملات وهو الربا، فقد حرَّمه الإسلام تحريمًا باتًّا مهما كانت نسبته قليلةً أو كثيرةً. ومال الربا مال حرام قطعًا، ولا حقَّ لأحد في ملكيته، ويردُّ لأهله إن كانوا معروفين. ولفظاعة الربا وصف الله آكليه بالذين يتخبطهم الشيطان من المسِّ حيث قال جل من قائل في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾. **ولشدة حرمة الربا أعلن الله الحرب على آكليه حيث قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾. وكذلك ما في الشركة المساهمة من كونها محدودة المسؤولية، ويضاف إلى ذلك قوانين الإفلاس التي تحمي أصحاب رؤوس الأموال الذين يبدعون في نهب أموال الناس ويعلنون خسارة مؤسساتهم وإفلاس شركاتهم بحيث تضيع أموال المقرضين وسائر ذوي الحقوق، هذه كلها قوانين محرَّمة ومناقضة لأحكام الشرع كل المناقضة. فقد أوجب الشرع أداء الحقوق كاملة لأصحابها غير منقوصة، ولا يجوز اقتطاع شيء منها. فقد روى البخاري من طريق أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أخذ من أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله**»، وروى أحمد من طريق أبي هريرة قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: «**لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقتصَّ للشاة الجماء من القرناء تنطحها**». فأكد الرسول صلى الله عليه وسلم على وجوب أداء الحق كاملًا في الدنيا وأن من لم يؤده في الدنيا فإنه سيؤديه يوم القيامة. وهذا وعيد لمن يأكل الحق. وقد جعل مطلَ الغني وتأخيره سداد الدين ظلمًا، فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مطل الغني ظلم**»، فإذا كان تأخير الأداء ظلمًا فكيف يكون أكل الحق وعدم سداد الدين، إنه أكثر ظلمًا وأشدُّ عقوبةً؛ لذلك يحرم الاقتصار على إعطاء أصحاب الحقوق والدائنين ما تبقَّى في الشركة المساهمة بعد خسارتها، ويجب أن يُعطَوا جميع حقوقهم وديونهم كاملةً غير منقوصة.

وكذلك ما بيناه بالنسبة لنظام النقد الورقي الإلزامي فقد حرمه الإسلام، وأقر النظام المعدني؛ حيث جعل الذهب والفضة هما المقياس النقدي الذي تقاس به أثمان السلع وأجرة الجهود والخدمات.

إن الذي يخلِّص المسلمين والعالم من فساد هذا النظام الرأسمالي الاقتصادي وشروره هو نظام الإسلام ومنه النظام الاقتصادي الإسلامي الذي ينقذ الناس جميعًا على السواء، مسلمين وغير مسلمين، فقراء وأغنياء، وبذلك يُقضى على الجشع والظلم والقهر والفقر، وتقطع أيدي حيتان المال ووحوشه وخططهم وابتكاراتهم الشيطانية التي جعلت الحياة جحيمًا وفنونًا في قتل الشعوب وقضت على المجتمعات وقيمها الإنسانية.

وهم يدركون بيقين أنهم لا خيار لهم إلا أحد اثنين: إما الاستعمار وإما الموت، وهذا ما يحفزُّهم للتداعي من كل جهات الأرض ليمنعوا عودة حكم الإسلام ودولته؛ لأنه سيكفُّ يد هيمنتهم واستعمارهم، وفي هذا نهاية مبدئهم وسقوط أنظمتهم، بل إن بداية قطع أذرع هذا الأخطبوط الاستعماري سيؤدي إلى تفكك أنظمتهم من داخلها وسقوطها تحت وطأة أنظمتهم وعلى رأسها النظام الاقتصادي الاستعماري والاستغلالي نفسه.

ولذلك كان من أهم مضامين الصراع الفكري مع الكفر المهيمن وأجداها، بيان النظام الاقتصادي الاسلامي وأحكامه الربانية المعجزة في معالجة شؤون الملكية وعلاقات الاقتصاد، وفضح النظام الرأسمالي الفاشل والفاسد ورموزه والمروِّجين له، وإزالة الجهل الذي وقعت فيه الأمة بسبب الغزو الفكري الغربي وحكام عملاء ومفتين جهالًا يفتون في هذه القضايا وينظِّرون بغير علم ولا فقه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الصندوق الأسود للفكر الغربي (٢)

ثائر أحمد سلامة

هذا هو الجزء الثاني من دراسة بحثية مفصلة لأصول المبدأ الديمقراطي، العلماني، الليبرالي، الرأسمالي، تبينت فيها الجوانب التي تنقض الأسس الفكرية التي قام عليها ذلك المبدأ، وتظهر تناقضاتها المعرفية (الإبستمولوجية)، وتسلِّط الضوء على عجز الديمقراطية والعلمانية عن تشريع أي قانون يحقق العدالة في المجتمع، أو يبين الحقوق وينظمها، أو يبين المصلحة العامة التي ستتأسَّس الدولة بهدف تحقيقها أو يحدد الخير والشر، أو الصواب والخطأ على وجه يحقق تأسيسًا مرجعيًّا للتشريعات لتحقِّق مقاصد تشريعية وأعرافًا مجتمعية محددة. وكنا قد عرضنا في العدد السابق أربعة من مآزق الدولة الحديثة: (أولًا: مأزق إحداث الشرخ الفكري بين الإنسان ووظيفته في الحياة، وبين الحياة نفسها، وثانيًا: مأزق شرعية السلطة (مرجعيتها ومصدرها)، وثالثًا: ما هو المسوِّغ القانوني لوجوب طاعة الشعب للدستور والتشريعات؟!، ورابعًا: مأزق دوام تغيُّر التشريعات، مما يجعل العدالة المطلقة مستحيلة التحقق) وفي هذا الجزء سنعرض المآزق الأخرى، مع خلاصة أن الأساس الذي قام عليه النظام الديمقراطي الليبرالي العلماني أساس واه، غير صالح لإنتاج تشريعات، وأنه لا يمثل سيادة الشعب ولا إرادته، ولا يمتلك أي مسوغ لطاعته في الدستور والتشريعات، وأن الوضع السليم هو وضع التشريعات والتنظيم لحياة البشرية في يد التشريع الإلهي الرباني.

خامسًا: مأزق العجز عن وضع مقاييس للسلوك والعلاقات، يصلح أرضية لسن التشريعات:

انطلق النظام الديمقراطي العلماني من منطلق مادي بحت، قاطعًا العلاقة بما وراء الطبيعة: فقطع أواصر الحبل السُّرِّيّ بين الأحكام والأفكار وبين مفاهيم «الخير والشر» و«الحسن والقبح» و«الثواب والعقاب»؛ ومفاهيم الخير والشر ليست مفاهيم مادية، ولا يقع الحس عليها لقياسها أو إخضاعها للتجربة، وبالتالي «فالضمير الأخلاقي» أو «الإنساني» مفاهيم غير مادية، فكيف ستبحثها العلمانية وتؤسس عليها مرجعية للسلوك لوصفه بالأخلاقي؟.

وزاد الطين بِلَّةً قطع العلاقة بين الأحكام وبين أي مرجعية دينية أو عرفية أو خلقية ليضمن «المحايدة»، وبالتالي قطع الصلة بين الأحكام وبين القيم التي يراد تحقيقها منها (إلا القيمة المادية النفعية البحتة، والتي فشل أيضًا في تحديد ضوابطها، والتي دفعت للتأسيس لتحقيق الملذات والرفاهية، والتحرر كأساس لتقييم نمط العيش!)؛ إذ إنهم بدلًا من أن يضعوا القواعد الأخلاقية سياجًا، نظروا في عواقب الأفعال، فقاسوا السلوك من خلال

عواقبه ونتائجه، فالفعل حسن إن جرَّ نتيجة حسنة؛ ولكننا بحاجة لميزان نعرف معه أن النتيجة حسنة على الحقيقة؟ فاكتفوا بالنفعية (Utilitarianism) المادية؛ الأساس الذي بنت عليه الحضارة الغربية مفهوم السعادة، والتي ارتبطت بها فكرة اللذة (Hedonism) الحسية، وفكرة الرفاهية (Welfare) كمقاييس غائية؛ لكننا نعلم أن التبرير النفعي البراغماتي للأخلاق يفقد الأخلاق قيمتها، والنفع والضرر متقلبان، فالفعل نفسه يجرُّ منفعة لشخص وضررًا للآخر، أو نفعًا حينًا وضررًا حينًا آخر، أو نفعًا آنيًّا يعقبه ضرر، فلا يمكن أن تصلح النفعية أساسًا لاختيار النظام الأخلاقي الذي سيسود المجتمع؛ إذ ستصبح مفاضلة أي نظام أخلاقي على آخر مسألة عشوائية لا يمكن الدفاع عنها؛ فغابت كل المقاييس المرجعية التي يمكن أن تتسلط على الأحكام لضبطها؛ فلم يعد بالإمكان إصدار أي حكم، ولا إيجاد أي قيم مجتمعية جرَّاء تطبيق الأحكام.

لذلك كان من الطبيعي أن نرى التحولات الفكرية العلمانية: تبدأ بمركزية الإنسان، سيد الكون، أو تأليه الإنسان وخضوع الطبيعة له، لتتحول إلى مركزية الطبيعة، وإذعان الإنسان لها ولقوانينها ولحتميَّاتها، ثم إسقاط فكرة المركزية، في عالم يسقط في قبضة الصيرورة، وتغييب الإنسان وتفكيكه وتقويضه على أساس تحويل المركزية للسوق الحرة، بعد نزع القداسة عن الطبيعة وعن الإنسان وتحويلهما إلى مادة استعمالية يوظفها القوي لحسابه، وأن نلاحظ تفكك الدلالات أو تعددها أو تفلتها من الحدود والقيود، الأمر المفضي إلى هلامية المعرفة ونسبيتها! والمفضي إلى قيام الأفكار على أساس الصراع الداروني بين الإنسان والإنسان على شكل صور منها بين القوي والضعيف (الاستعمار من قبل من لهم الحق فيه، والمستَعْمَرين المتكيِّفِينَ) أو بصورة عنصرية تكرس تفاوت البشر، أو الصراع بين الإنسان والطبيعة!

لا يوجد سلطة في العلمانية لتحقيق أو إنتاج الأخلاق، ففي ظل غياب وتغييب الدين، فإن كل شيء مباح، ولا توجد معايير فكرية تبيِّن القيمة الخلقية، أو تنتجها، لقد خلت العلمانية من تفسير لماذا يجب عليك أن تفعل هذا أو تترك فعل هذا، وخلت من معايير تبيِّن لنا ما هو الخير وما هو الشر، وخلت أيضًا من وضع نظرية قيمية تُتَّخذ مقاييس لأفعال الإنسان،

لقد فشل النظام الغربي في وضع المقاييس المعيارية المرجعية الضامنة لصحة القوانين، والتي تظهر قدرتها على حل المشاكل، وتحديد المصلحة العامة، خصوصًا في ظل انعدام القواعد العقدية أو الفكرية التي يعوَّل عليها في معرفة الحق من الباطل، والخير من الشر. فمسألة الحق والصواب من المصطلحات الأخلاقية المبنية على الدين والمبادئ والقيم أو التقاليد، وليست مصطلحات علمية أو منطقية تثبت بالأدلة والمنطق. فمن الممكن للأغلبية أن تتخذ قرارًا «رسميًّا»، من خلال عملية سياسية منظمة، ويكون القرار ضارًّا بآخرين من أفرادٍ وأقلياتٍ كثيرةٍ على أسس عرقية، أو مذهبية، أو جنسية، أو فكرية... وفشل النظام الغربي

أيضًا في ضمانة تلك المقاييس المعيارية لتحقيق الأحكام والتشريعات لمجموعة من القيم الاجتماعية التي يراد أن تسود المجتمع على صورة أعراف مقبولة (مقاصد تشريعية). وفي ظل غياب القواعد المنطقية العقلانية التي تحدد الغايات المجتمعية خارج إطار الاختيار الفردي، ذلك الاختيار القائم على تحقيق مصالح الفرد الآنية ورغباته، الأمر الذي لا يضمن تجانس هذه الخيارات الفردية مع السلوك الاجتماعي للأفراد، ولا يضمن الإبقاء على وحدة الجماعة وعلى أمنها. وحيث إنه من المستحيل أن تجمع أو تجتمع غايات الأفراد على حلول واحدة تمثلها أو تمثل أغلبيتها، في نطاق تشعب المشاكل وتشعب الأفكار التي يمكن أن تحلَّ بها تلك المشاكل وتنوعها، فإن الشُّقَّةَ والبَوْنَ سيتَّسعان ما بين المصالح الفردية والمصالح العامة التي تستنبط منها أو تستثنى منها، بحسب تنظيرهم للإرادة العامة.

ولقد عَوَّل النظام الغربي على أن قرارات الأغلبية تعد أخلاقيًّا صحيحة، دون مسوِّغ عقلي لذلك التعويل، فأضفى على الشعب (أو على نواب الشعب أو أغلبيته النيابية) صفة العصمة من الخطأ، دونما مبررات لما يريد الشعب أو تريده تلك الأغلبية النيابية، على الرغم من أن النتائج الواقعية لديهم أثبتت حاجة تلك القرارات للتغيير والانتقال من النقيض للنقيض، فأصبح المجتمع حقلًا للتجارب. فالغالبية ليست دائمًا على حق، والكثرة العددية لا تُشكّل ضمانًا أكيدًا للحقيقة والمصلحة والخير العام. وبدراسة مبدأ سيادة الأمة نجد أنه ليس من أهدافه ضمان وكفالة منع الاستبداد أو الاستئثار بالسلطة، ولا وضع قيود أو حدود على السلطات، ولا تترتب أي من النتائج تلك على ذلك المبدأ حين تطبيقه، بل إنه يشكل خطرًا على الحريات والحقوق الفردية التي ستصبح رهينة إرادة أغلبية مجلس النواب (البرلمان).

سادسًا: كيف سترعى الدولة المصلحة العامة في ظل فشل تَبَـيُّـنِـهَا؟

فشل النظام الديمقراطي – العلماني – الليبرالي في تحديد المصلحة العامة بصورة تمثل رأي سواد المجتمع، أو أغلبيته؛ فما توصلت إليه النظم السياسية من حلول سنَّتها على صورة قوانين وتشريعات تمثل «المصلحة العامة» إنما تمثل -في الحقيقة- رأي المتشرِّعين والقانونيين والفقهاء الدستوريين وليس إرادة الشعب. وقد انطلق النظام العلماني من منطلق بناء مصادر التشريع والتنظيم، وتبيين «المصلحة العامة» على بدائل وضعوها لما كانت الكنيسة تصطلح عليه باسم «الحق الإلهي» عبر ما أسموه:

الحالة الطبيعية الافتراضية السابقة للمجتمعات والحكومات، والتي يخرجون منها إلى التنظيم والاجتماع بواسطة العقد الاجتماعي... والحق الطبيعي، أي الحرية الممنوحة لكل إنسان لكي يستخدم قدراته الطبيعية، وسلطته، والوسائل المتاحة له للبقاء، أو المحافظة على طبيعته الذاتية، طبقًا لما اصطلحوا عليه **بالعقل السليم** بزعمهم... والقانون الطبيعي (مقابل: القانون المدني

الوضعي) أي: «العقل السليم» بما يتفق مع الطبيعة أو مجموعة القواعد الثابتة وغير المكتوبة والواجبة الانطباق على كافة الأفراد في كل المجتمعات نظرًا لأنها تجد مصدرها في الطبيعة ذاتها حسب تصورهم. فهو نوع من الأخلاقية الواجبة الانطباق في كل مكان وزمان مثل أفكار العدالة والمساواة. واعتبروا هذا النوع من القانون ليس من صنع المشرع، وإنما هو متأصل في الطبيعة البشرية. وقد انطلق بعض منظري العلمانية إلى أن الأساس أن الإنسان في الحالة الطبيعية شرير وذئب، وانطلق آخرون للتأسيس على وجود قانون طبيعي يقوم على العقل السليم، وهذا تناقض كبير، والحق الطبيعي والقانون الطبيعي كان في مرة أصلًا تبتنى عليه التشريعات، وفي مرة ابتلعه «العقد الاجتماعي» لأنه مؤسس على حرية فردية مطلقة قوامها إنسان شرير وابتلعه القانون المدني الذي ألغى الجوانب الأخلاقية في التشريعات بحجة تحقيق المحايدة والموضوعية.

لقد غاب عنهم حقيقة أن الحقوق تتقرَّر بحسب المفاهيم الحضارية والثقافية التي يعتنقها الأفراد، ولا تولد مع الإنسان «حقوق طبيعية»، وإنما تتميز الحضارات بما تبنَّته من مفاهيم وأنظمة **تتمايز بمدى موافقتها** للفطرة ولطبيعة الإنسان، وبقدرة تشريعاتها، أو عدم قدرتها، على تنظيم حاجاته العضوية وغرائزه تنظيمًا متوازنًا يقرُّ الغرائز ويشبعها دون كبت ولا إطلاق، وتنظم ذلك الإشباع بأنظمة معينة؛ الأصل أن تفضي لتحقيق غايات فردية ومجتمعية، وتحديد الحقوق وتنظيمها، والأصل فيها أن تفضي لتحقيق العدالة!

وغاب عنهم أن دوام تغيير القوانين والتشريعات يتعارض مع تحقيق العدالة المطلقة، فلا يعود لما يسمى بالقانون الطبيعي أي معنى. وأن تعدد المصالح وتشعب طرق إشباعها واختلاف الناس في تنظيم ذلك الإشباع يفسد «المساواة الطبيعية»، ولا يعود لما يسمى بـ «العقل السليم» من وجود في ظل تفاوت العقول وتحكم الأهواء والرغبات والميول، وتأثير الثقافات وغير ذلك من العوامل.

لقد فشل النظام الغربي في تحديد «الإرادة العامة» كما أسلفنا، ونظَّروا لبناء المصلحة العامة على «الإرادة العامة»، وقالوا إنها هي إرادة مجموع المجتمع لا أغلبيته ولا إرادة فئة منه دون غيرها، وهي عندهم محصلة ناتجة بعد هدم الإرادات المتفرقة، المتصارعة للأفراد، التي تقدم مصالحهم الذاتية على المصلحة العامة، وهي المصالح المتفق عليها، والتي تحقق توجيه الدولة نحو الهدف من إنشائها.

لكن بالنظر المدقق نجد أنه صحيح أن المصالح العامة التي ينتج عنها اجتماع الناس تحتاج لحلول يرضى عنها المجتمع، إلا أن هذه الحلول ومناسبتها للأفراد وللمجتمع، وصحة تلك المعالجات والتشريعات وإنتاجها للخير أو للشر، أو الصواب أو الخطأ، أو الحسن أو للقبح، وتحديدها لطبيعة الحقوق وإحقاقها وتنظيمها هو المعضلة الأكبر. وهذه لا تكون نتاج «خير عام» أو «عقل سليم»، بل هي مجال

خصب -إن تركت من غير تشريع إلهي عادل- لاستغلال القوي لحاجة الضعيف (البنك – المقترِض)، (أصحاب رأس المال – الموظفين)، ومرتع وخيم لقيام المجتمع على أعرافٍ بالية أو حلول خاطئة تجسد الظلم والقهر والحرمان للضعفاء وللنساء وللعبيد، أو تكرس الشهوات كالزنا والشذوذ. وهكذا، فلا ضمان على سلامة المعالجات إن تركت لتشريع البشر. أضف إلى ذلك إن كيفية تجسيد الإرادة العامة في الواقع معضلة ضخمة؛ إذ إن اجتماع الناس على صعيد واحد لتقرير ما يصلح لهم وما لا يصلح، وما يرتضونه أو لا يرتضونه، وافتراض أن مجلس النواب يمثل آراءهم في الحقيقة هو وهم وتضليل، فمجلس النواب لا يمثل رأي الأغلبية، ولا رأي الشعب.

والإرادة العامة من غير خير عام متفق عليه أو مصلحة عامة تسعى لتحقيقها غير واقعية، خصوصًا في ظل التفسيرات المتضاربة بين الناس للخير والمصلحة والحلول للمشاكل، وفي ظل غياب وجود المنظور الجماعي الأخلاقي الواحد للخير والفضيلة، وفي ظل مشكلة أن السعي لتحقيق مثل هذا المنظور سيفضي إلى التضارب مع فكرة التعددية التي اعتبروها أساسًا لقيام المجتمع الديمقراطي – العلماني، وسيفضي إلى فرض قيم عقائدية أو أخلاقية واحدة تسود المجتمع، الأمر المتناقض مع المجتمع الديمقراطي العلماني التعددي، والذي يهدد بتحويل العلمانية إلى «دين»؛ لهذا كله يستحيل وجود «الإرادة العامة» التي تؤسس لتحديد «المصلحة العامة» والتي ستكون مرجعية للتشريعات والقوانين.

و«الخير العام»، و«العقل السليم»، والإخاء والحرية والمساواة، كلها لا تضع مقاييس فكرية تبين الغايات التشريعية أو الضوابط الأصولية التي توضح كيفية ضمان أن تفضي تلك العلاقات والأنظمة لحلول صحيحة ترفع الظلم وتجسد العدل وتحقق قيمًا مجتمعية تُسعد الإنسان، وتترك ذلك لمصطلحات غامضة، وما يعتبره البعض خيرًا ومحققًا للمصلحة يراه غيرهم شرًّا وضررًا محققًا، أو متعارضًا مع أهوائهم؛ إذ إن العبرة ليست بمجرد إصدار حكم أي حكم، وإنما في ضمان صواب الحكم ومقدرته على معالجة مشاكل بشرية متعلقة بذلك السلوك علاجًا صحيحًا، الأمر الذي لا يحيط العقل به لكثرة الملابسات الخارجية عنه وتعقيداتها، فالأهواء تجعل بعض العقول تميل للزنى، ولشرب الخمر، فلا يكفي ذلك لجعل الحكم الصادر عن العقل صوابًا، فَقَدْ فُقِدَ الميزان والمقياس السليم، والفطرة والميول قد يتأثران بعوامل خارجية وثقافية تجعل فطرة الغربي غير فطرة المسلم، والعقول تتراوح قوة وضعفًا، ودقة في الفهم أو ضبابية، فلا يستطيع العقل الحكم على كل الأفعال في مختلف الظروف والحالات لغياب عوامل غيبية، أو بسبب نظرة جزئية غير شاملة، أو مرجحات يتبين فسادها فيما بعد، أو مما قد لا يتفطن له العقل من فهم مجزوء للواقع، تقلب الحكم إلى نقيض الصواب، فما تراءى له مصلحة أو جالبًا لمنفعة اتَّضح له أن الشرَّ يكمن في أحد زواياه المعتَّمة؛ إذ لا علم

له بشكل قاطع بمآلات الأفعال ونتائجها؛ لهذا السبب درجت تشريعات البشر على الانتقال والتقلب من حكم إلى نقيضه!؛ إذ ليس للأفعال خصائص ذاتية توصف على أساسها بأنها خير أو شر، وإنما تأتي أوصاف الخير والشر من اعتبارات وملابسات خارجة عن الفعل، (أي من النظام، وقد تبين لنا عدم قدرة النظام بشري المصدر على تحقيق صحة المعالجات، وعلى تحقُّق صواب الوصف بالخير أو الشر، الأمر الذي يتطلَّب الخضوع لنظام إلهي المصدر).

لقد قام تأصيل مبدئهم على ضرورة تنازل الفرد عن حريته المطلقة، وسيادته، مقابل تحقيق الدولة له الاستقرار والأمن والنظام، أي خضوع الإرادة الحرة للإرادة العامة. مُؤْثِرًا المصلحة العامة على الخاصة. فتتركز السلطة في يد دولة يخضع لها الكل ويخافونها، سلطة مطلقة غير مقيدة، وأقوى من كل الأفراد، وفوقهم؛ إذ إن الاتفاقات من غير السيف (القوة) ليست سوى كلمات، من خلال عقد اجتماعي ليمنعهم من الاستسلام لطبيعتهم الشريرة -بحسب توصيفهم للحالة الطبيعية للأفراد-.

هذه المفاهيم (الحالة الطبيعية، الحق الطبيعي، القانون الطبيعي، الإرادة العامة... الخ) كلها مفاهيم فضفاضة غامضة، مشبعة بالتناقض، قابلة للتأويل والتغيير والتضارب بحيث يصعب على المشرِّع مراعاتها، وما أشد استحالة أن تتفق مجموعة من العقول على تحديد أساس يمثل الخير العام المرضيَّ عنه من قبل الأغلبية!

من هنا، **فلم يعد لمفهوم الإرادة العامة من وجود في الواقع**، فالعلاقات في المجتمع لم تبنَ على أساس دراسة إرادات المجموع، ومن ثم طرح ما تناقض منها جانبًا، واصطفاء الباقي ليمثل «الإرادة العامة»، ونظرتها لعلاقات المجتمع، بل إن العلاقات -في واقع الحال في الدول العلمانية الديمقراطية- قامت على **تطويع تلك الإرادات للقوانين والتنظيمات التي ارتأتها الفئات المتحكمة** في المجتمع والدولة كالأحزاب السياسية والرأسماليين، والمشرعين.

والعلمانيون إذ ينطلقون من منع الدين من فرض أي تصورات على المجتمع والدولة، ومن حصر دور الدولة في أن تنشغل في الإدارة العملية وحكم المجتمع فقط، لا أن تنهك نفسها في فرض هذا الاعتقاد ومنع ذلك التصرف، على حد تعبير هوبز نفسه، فإنهم يعودون ويضعون هذه المهمة على عاتق الدولة، فكيف نوفق بين دور القوانين والتشريعات، وبين ألا تنهك الدولة نفسها بمنع التصرفات؟

وفي الواقع نرى أن الإفراز الطبيعي لنظرية الحق الطبيعي لا بد وأن يكون عبر التناقضات المجتمعية غير المحدودة، والتي لا تُحَلُّ إلا بفرض سلطان الدولة واضطلاعها بمهمة التشريع بصورة تفرضها على المجتمع، خصوصًا في ظل النقاط التي وضحنا فيها أن هذه التشريعات لا تمثِّل الإرادة العامة ولا تجسِّد سيادة الأمة!

سابعًا: مأزق الدولة الديمقراطية المتجسد في تناقضها المعرفي مع الليبرالية،

لقد نتج عن دمج الفكرتين سياسيًّا فيما يسمى بالديمقراطية الليبرالية تضارب هائل؛ إذ إن قوام الديمقراطية إرجاع سن التشريعات وإنفاذها والقضاء بناء عليها بناء على تحكيم رأي الأغلبية. والليبرالية نقيض ذلك، مرجعيتها الفكرية هي الفردانية والأقليات والحريات. وتَعْتَبِرُ الليبراليةُ مجرد وجود مرجعيات فكرية، ووجود التشريعات في الدولة تقييدًا للحريات الفردية، فكان الجمع بين المبدأين، وتقديم الليبرالية على الديمقراطية مفضيًا بالضرورة إلى تحويل الديمقراطية إلى فكرة جوفاء خاوية على عروشها، **ميتة بالسكتة الليبرالية**.

وقد افترض النظام الغربي أن على الأقلية أن تخضع لرأي الأغلبية (الديمقراطية) بما تقوم عليه من نزعة جماعية، دون بيان المسوغ القانوني والأخلاقي لذلك الخضوع، ومن ثم ناقض نفسه بأن فرض رأي الأقلية (الليبرالية حين زاوجها بالديمقراطية عبر ما يسمى بالديمقراطية الليبرالية) بما تقوم عليه من نزعة فردية، ضمانًا لحرياتهم، على الأغلبية دون بيان المسوِّغ القانوني والأخلاقي لذلك الخضوع وذلك التناقض.

وبنى النظام الغربي فلسفة الليبرالية على أساس انعدام القيم الجماعية المشتركة المحددة للسلوك الفردي؛ إذ قوام الليبرالية عدم وجود وحدة اجتماعية مخوّلة بتحديد القيم الاجتماعية، أو السلوك المقبول اجتماعيًّا من قبل الأفراد، ضمانةً لتحقيق الحريات وعدم التسلط على الفرد بما يحد من قدرته على «التفكير والإبداع» حسبما نظّروا.

وحيث إن المجتمع - بناء على النظرة الغربية الليبرالية - عبارة عن "كومة من الأفراد"، و«كومة من الأقليات»، (الأقلية ليس من باب العدد، وإنما التأثير والقوة)، فالنساء والمعوَّقون والشوَّاذ جنسيًّا والمهاجرون وأصحاب البشرة الداكنة والأطفال والمسنُّون والجماعات الدينية والعِرقية والعمال وسائر شرائح المجتمع، ينظر لها على أنها «أقليات» تُفصَّل لكل منها حقوق معينة، لكن أيًّا منها لا ينعم بوصف «الأغلبية»، حتى يؤثر في سير الحكم أو التشريع، الأمر المتناقض مع منطلقات الديمقراطية الإبستمولوجية. فكيف نوفق بين تغييب الأفراد وإلزامهم الطاعة العمياء لإرادة الأغلبية، (الديمقراطية) وبين غياب النظرة إلى المجتمع، (الفردية) وانعدام القيم الجماعية المحددة للسلوك الفردي (الليبرالية)؟! وكيف سيتم التزاوج بين مذهبٍ يحارب الفردية ويحارب تحكم القلة، ويمنعُ الأقلياتِ أو الأفرادَ حقوقَهُمْ إن تعارضت مع حكم الأغلبية، ويُجْبِرُهُمْ على الخُضُوْعِ للأكثريةِ، ويحد من حرياتهم (وهذا بموجب الديمقراطية)، مع مذهب يمنع الكثرة من الاستئثار بمقاليد التشريعات، ويرتكز على تحقيق الحرية الفردية وعلى حقوق الأفراد ويحارب خضوعهم لرأي الأغلبية لأنه سينفي عنهم حرياتهم (وهذا بموجب الليبرالية)؟! يقول ستيوارت مِيلْ بعد أن لم يعد يعتنق الاتجاهات الديمقراطية التي ميزت القرن الثامن عشر: «إن مشكلة الحرية

تُطرح بإلحاح داخل الدولة الديمقراطية... بقدر ما تزداد الحكومة ديمقراطية بقدر ما ينقص ضمان الحرية الفردية». والدولة التي ركَّزت على الفردانية، وعلى فكرة الأقليات، نتج عنها بالضرورة تشظِّي المجتمع، فلم يعد فيه كيان يفرض القوانين والتشريعات بحكم امتلاكه أي سلطة مادية أو معنوية (كالكثرة مثلًا)، مما يترك المجال خاليًا للسياسيين وأصحاب النفوذ في المجتمع (القلة المهيمنة) من أصحاب المال والنفوذ ليسرحوا ويمرحوا في سنِّ التشريعات كما يحلو لهم، وليفرضوا رؤاهم على المجتمع والدولة!

ثامنًا: فشل النظام الديمقراطي في منع تركز السلطات واستغلالها في يد القلة.

وعن مأزق الدولة الديمقراطية المتجسِّد في فشلها في الفصل بين السلطات الثلاث، وما يترتب عليه من تركيز للسلطات فعليًّا في يد القلة، يرى الأستاذ الدكتور محمد مفتي والدكتور سامي الوكيل أن «مشكلة الاستبداد لم تنشأ لوجود مشكلة تركز السلطات، إنما وجدت أساسًا لانعدام القواعد الشرعية الثابتة في الفكر الغربي. مما أدى الى ربط التشريع والتنفيذ بالفرد أو الهيئة الحاكمة التي سعت من مطلق رغبتها في دعم قوتها إلى سن قوانين جذَّرت الاستبداد الفردي.

أما الشريعة الإسلامية فقد جاءت بأنظمة وتشريعات ثابتة لكافة جوانب الحياة ومنعت الحاكم من تجاوزها مطلقًا، وأكدت أن تجاوزها يؤدي إلى خروج الحاكم عن الإطار الإسلامي المتضمن للشرعية مما يستلزم «عدم الطاعة» للحاكم الجائر في المعصية، والنصيحة له، أو الخروج على الحاكم إذا تحققت الشروط المؤدية إلى ذلك من كفر بواح، فضلًا عما نصَّت عليه الشريعة من حقوق الرعية في محاسبة الحاكم وإنكار المنكر.»

بدراسة الأنظمة الغربية المختلفة وجدنا تركيزًا للسلطات في يد قلة، تتمثل في الأحزاب الحاكمة الحائزة على أغلبية مجلس النواب (البرلمان)، إذ تجمع بين أغلبية مجلس النواب (البرلمان) (السلطة التشريعية) وبين السلطة التنفيذية حين تشكل هي الحكومة، فتتحكم بمقدرات الدولة تشريعًا وتنفيذًا خلال فترة حكمها، فالدولة على الحقيقة هي الحزب الحاكم تنفيذًا وتشريعًا.

ومن أشكال تداخل السلطات أن للسلطة التنفيذية الدور الكبير والرئيس في تعيين قضاة المحكمة العليا، وعزلهم، وبالتالي فالقضاء الذي يتعيَّن ويتغيَّر بقرار السلطة التنفيذية قد لا يكون مستقلًّا استقلالًا تامًّا، فلا بد من ضمانات! والمهم هنا هو وجود التداخل بين السلطات.

وغني عن القول إن الدستور أصلًا هو من وضع مجموعة من القانونيين والقضاة، فإذا ما قيل إنهم يرجعون إلى مجلس النواب للإقرار بدستورهم فهذا في الواقع تجسيد لتداخل السلطات، وعلى كل فتدخل القضاة بسن الدساتير تدخل في السلطة التشريعية.

وكذلك فإن المحكمة الدستورية تراجع القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية، وتمنع القوانين التي تتعارض مع الدستور،

«فقد وضعت سلطة قضائية ووضع على رأسها المحكمة الدستورية، فهي أعلى مرتبة في القضاء، والحل والفصل الأخير يرجع إليها لتنظر في دستورية التشريعات الصادرة من السلطة التشريعية وتراقب تنفيذها من قبل السلطة التنفيذية،

وكذلك تشكل مسألة ثقة السلطة التشريعية بالحكومة أي بالسلطة التنفيذية أو سحب الثقة فتسقط الحكومة، تداخلًا بين السلطتين، فالحكومة التي تتعرض للثقة من السلطة التشريعية غير مستقلة.

إن توزيع السلطة يقضي على مبدأ المسؤولية وكيفية تحديدها الأمر الذي يؤدي بكل سلطة إلى التهرب من المسؤولية وإلقاء اللوم وعبء المسؤولية على السلطة الأخرى... إلى غير ذلك من التداخل بين السلطات الأمر الذي قوَّض فكرة الفصل بين السلطات، وركَّزها في يد قلة.

المستحيلات خمسة: الغول والعنقاء وحوريات البحر والدولة المدنية والأكوان المتعددة!

كانت العرب قديما تقول: المستحيلات ثلاثة، الغول والعنقاء والخِلُّ الوفيّ، والآن اتضح أنها خمسة، إذا استثنينا الخلّ الوفي، وضممنا ما تتضمنه الأساطير عن حوريات البحر، فالأكوان المتعددة هي المستحيل الرابع، كما بينا في كتابنا: نشأة الكون ونشأة الحياة دليل عقلي علمي حسي على وجود الخالق، وهنا نضيف لها المستحيل الخامس: وهو أن تقوم الدولة المدنية أو الدولة الحديثة على أسسها الفكرية وتحققها في الواقع، فتجمع بين الديمقراطية والعلمانية والليبرالية والرأسمالية في الوقت نفسه الذي تستطيع فيه أن لا تتضارب الأسس الفكرية بعضها مع بعض بصورة تبقي على تلك الأسس وتحافظ على قدرتها على البقاء وعلى إنتاج الغايات، وأن توجد الآليات الحقيقية التي تضمن بناء الأنظمة على الأسس الفكرية، بشكل يحقق الغايات من هذه الفلسفات الفكرية المتناقضة، ويحقق استناد الدولة إلى سلطان وسيادة الأمة على الحقيقة، فتكون دولة شرعية، وأن لا يأكل قويٌّ هذه الفلسفات ضعيفَها ويصيبه بالسكتة القلبية!

والخلاصة إذًا، هي أن الأساس الذي قام عليه النظام الديمقراطي الليبرالي العلماني أساس واه، لا يصلح لإنتاج تشريعات ولا للتوافق مع الأسس الفكرية التي بُنيت عليها تلك النظريات، ولم ينجح في التوفيق بين تلك الأسس، وبالتالي فَقَدْ فَقَدَ كل مسوغ لوجوده واستمراره، وثبت أنه يكرس تحكم الأحزاب السياسية التي تخدم الطبقات الثرية في المجتمعات، وأنه لا يمثل سيادة الشعب ولا إرادته، ولا يمتلك أي مسوغ لطاعته في الدستور والتشريعات، الأمر الذي يفتح الباب واسعًا للعودة للأصل السليم، وهو وضع التشريعات والتنظيم لحياة البشرية في يد التشريع الإلهي الرباني. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفات للذكر والاقتداء مع طلب الرسول ﷺ لنصرة من أهل القوة والمنعة من القبائل

الكاتب / المبارك بن أحمد يحيى - اليمن

عمد رسول الله ﷺ بعد عودته من الطائف إلى قبائل العرب في مواسم الحج، يشرح لهم الإسلام ويدعوهم إليه، ويطلب منهم النصرة والإيواء ليبلغ كلام الله جلَّ وعلا، فكان يتحرك خلال مواسم الحج والمواسم التجارية التي تجتمع فيها القبائل.

اتخذ الرسول ﷺ برنامجًا دقيقًا وفق خطة سياسية دعوية واضحة المعالم ومحدَّدة الأهداف، فكان يقصد عيِّنة القوم وغرر الرجال ووجوه القبائل من ذوي القوة والمنعة، مصطحبًا صحبة من ذوي المعرفة والعلم بأنساب العرب، وبطون القبائل وتاريخها كأبي بكر الصديق رضي الله عنه والإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اللذين كانا يسألان وجوه القوم بعض الأسئلة التي تنبئهم عن معدنهم ومدى أهليتهم للإيواء والنصرة، يقولون لهم: كيف المنعة فيكم؟ كيف الحرب فيكم؟ كيف العدد فيكم؟ قبل أن يتحدث رسول الله ﷺ ويعرض دعوته على القوم.

دعا رسول الله ﷺ قبائل العرب فبدأ بكندة ثم أتى كلبًا، ودعا ((بنو عامر، وغسان ، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وبنو ثعلبة بن عكابة، وبنو الحارث، وبنو كعب، وبنو عذرة، وقيس بن الخطيم، وأبو اليسر أنس بن أبي رافع)، وجعل يقول من رجل يحملني إلى قومه، فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي). [أحمد (٣/٤٩٣،٤٩٢) و ابن هشام (٢/٦٤)].

لقد تعرَّض ﷺ للأذى العظيم، فقد روى الترمذي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف فيقول: «**ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**». [الترمذي وابن ماجه وأبو داود]. تردَّد النبي ﷺ على القبائل يدعوهم، فيردُّون عليه أقبح الرد ويؤذونه، ويقولون: قومه أعلم به، وكيف يصلحنا من أفسد قومه؟ فلفظوه، وقد كانت الشائعات التي تبثها قريش بين الحجَّاج تلقى رواجًا واسعًا، وكان هذا مما يحزُّ في نفس رسول الله ﷺ، وقد روى الطبراني في الكبير عن مدرك بن منيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، فمنهم من تفلَ في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبَّه، حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بِعُسٍ

من ماء، فغسل وجهه ويديه وقال: يا بُنَيَّة لا تخشي على أبيك غلبةً ولا ذلةً، فقلت من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ وهي جارية وضيئةٌ. [البخاري، التاريخ الكبير ٤-٢-١٤، الطبراني المعجم الكبير ٢٠-٣٤٢ ، مجمع الزوائد ٦-٢١]. وقد تناوب أبو جهل وأبو لهب لعنهما الله على أذية رسول الله ﷺ.

هذا واتَّخذ رسول الله ﷺ عدة أساليب للرد على مكائد المشركين خلال مروره على القبائل، منها:

- **مقابلة القبائل في الليل:** حتى لا يحول المشركون بينه وبين القبائل، فقد اتصل بالأوس والخزرج ليلًا، وكانت العقبة الأولى والثانية ليلاً.

- **ذهاب الرسول ﷺ إلى القبائل في منازلهم:** فقد أتى كلبًا وبني حنيفة وبني عامر في منازلهم تجنُّبًا لتشويش قريش ليستطيع التفاوض مع القبائل بالطريقة المناسبة.

- **اصطحاب الأعوان:** كان أبو بكر وعلي رضي الله عنهما يرافقان رسول الله ﷺ ببعض مفاوضاته مع بعض القبائل، ربما لئلا يظن المراد دعوتهم أنه وحيدٌ ولا أعوان له من أشراف قومه وأقاربه، إلى جانب معرفتهم بأنساب العرب ومعادن القبائل ليقع الاختيار على أفضلها لتحمل تبعات الدعوة.

- **التأكد من حماية القبيلة:** تحرِّيًا للجانب الأمني كان سؤاله عن المنعة والقوة لديهم، قبل دعوتهم وطلب الحماية، فذلك ضروري لحماية الدعوة من قوى الشر والباطل، من باب الاستعداد المادي والمعنوي الذي يرهب الأعداء ويذود عن حياض الدين ويحمي الدعوة ويتحمل تبعات نشرها، مزيلًا العقبات التي تعترض طريقها.

مفاوضاته ﷺ مع بني عامر بن صعصعة:

بعد امتناع قبيلة ثقيف من الداخل عن الاستجابة لدعوة الرسول ﷺ، أحبَّ رسول الله ﷺ تطويقها من الخارج، فخطط عليه الصلاة والسلام بإبرام حلفًا مع بني عامر الذين كانوا على عداء وتضادٍّ مع ثقيف، علمًا أن قبيلة بني عامر قبيلة قوية عزيزة الجانب، وهي أحد القبائل الخمس التي لم يمسها سباءٌ ولم تؤدِ أتاوة ولم تتبع لملك، مثل قريش وخزاعة وثقيف، ويتَّضح لنا من قول بيحرة بن فراس كما روى لنا ذلك أصحاب السير عندما قال: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب. ثم قال: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فأجابه رسول الله ﷺ قائلًا: «**الأمر لله يضعه حيث يشاء**». فقال له: أفَتُهْدَف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه. [ابن هشام ٢-٦٦، وأبو نعيم في الدلائل ٢١٥، وابن سعد مختصرًا ١-٢١٦ والطبري في تاريخه].

مفاوضاته ﷺ مع بني شيبان:

كما رُوي عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: لما أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه... إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر الصديق فسلم فقال: من القوم؟ قالوا شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ وقال بأبي أنت و أمي، هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق قد غلبهم لسانًا وجمالًا، وكانت له غديرتان تسقط على تَرِيبَتَيْه، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف، ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: كيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنَّا لأشدُّ ما نكون غضبًا حين نلقى، وأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش، فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله ﷺ فها هو ذا، فقال مفروق: إلامَ تدعونا يا أخا قريش، فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد، فقال مفروق: وإلامَ تدعو أيضًا يا أخا قريش، فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا،

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿۞قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١]، قال مفروق: دعوتَ والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك و ظاهروا عليك، ثم ردَّ الأمر إلى هانئ بن قبيصة وقال: هذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا لا أول له ولا آخر لذل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، إن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدًا، ولكن نرجع وترجع وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى - وأسلم بعد ذلك - رضي الله عنه: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صرين: أحدهما اليمامة والآخر السماة، فقال صلى الله عليه وسلم: «**ما هذان الصريان؟**» قال أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنب صاحبه غير مغفور، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، ألا نحدث حدثًا ولا نؤوي

محدث، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله - عز وجل - لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلًا حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟**» فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك. [أبو نعيم في دلائل النبوة (٢١٤)].

فنلاحظ من خلال كل ذلك أن رسول الله ﷺ طلب النصرة من أجل حماية الدعوة والدعاة لضمان تبليغ الدعوة وسيرها بين الناس محمية الجانب لا يساء إليها ولا يساء إلى أتباعها، كما أنه ترتيب ضروري من أجل تسلم السلطة ومقاليد الحكم والسلطان لتنفيذ شريعة الإسلام وتطبيقها على كافة النواحي ليسود الخير والحق ويتحقق العدل في ربوع المعمورة، وهكذا هي طريقة الرسول في استلام الحكم. ولو تفحصنا الأمر جيدًا لوجدنا:

- أن طلب النصرة كان بأمر الله جل وعلا لرسوله.

- كما أن طلب النصرة بدأ بعد فقده ﷺ لزوجته خديجة وعمه أبي طالب الذي كان يحميه من قريش واشتداد الأذى عليه ولأن من يحمل الدعوة لن يستطيع أن يتحرك التحرك الفعال لأجلها، ولن يتوفر الجو الملائم للاستجابة لها.

- رفض رسول الله ﷺ أن يعطي أيًّا من القوى المستعدة للنصرة أية ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان على سبيل الثمن والمكافأة؛ لأن الدعوة الإسلامية إنما هي دعوة إلى الله، فالشرط الأساسي لمن يؤمن بها ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله.

وعليه، أحبتنا الكرام من أبناء الإسلام، ينبغي أن يبني حامل الدعوة نفسه على أن طريق الدعوة محفوف بالمعاناة ومطلوب منا الجهد والإخلاص والمثابرة والاجتهاد؛ لأنه رضا الله جلَّ وعلا، كما أنها جنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة، فالبدار البدار قبل أن نغادر الفانية إلى دار القرار، حينها يتمنى المرء فيقول: رب ارجعوني لعلي أعمل صالحًا فيما تركت، فلا زلنا بفسحة من الأجل ونور مستبين والله وليُّ التوفيق، نسأل الله العلي الكبير أن يجعلنا ممن يستخدمهم في إقامة دولة الإسلام القادمة بوعد الله، ووعده الحق وهو أصدق القائلين، وأن تطل على الدنيا دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، لتحقق العدل وتنشر شرع الله وتنتصر للمظلومين من بني آدم ويعز الله بها الإسلام والمسلمين، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين. ■

كاتبة (إسرائيلية): صفقة الغاز مع لبنان جاهزة وتنتظر الإعلان

أكدت كاتبة (إسرائيلية) خبيرة بالشؤون العربية، سمدار بيري، في مقال نشر بصحيفة «يديعوت أحرونوت»، وترجمته (عربي٢١) أن الوسيط الأمريكي اليهودي عاموس هوكشتاين، يواصل المحادثات على توزيع حقول النفط بين لبنان و(إسرائيل) وذكرت أن «حقل كاريش» سيذهب لـ (إسرائيل) بينما حقل «قانا» للسيادة اللبنانية، وأن هوكشتاين يُبقي عن قصد الأمور في الظل. ولفتت إلى أن «صفقة» تفعيل حقول النفط، تأجَّلت لما بعد انتخابات الكنيست (الإسرائيلي) في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر المقبل، وبعد نهاية ولاية من ست سنوات للرئيس اللبناني ميشيل عون. وأشارت إلى أن «الشريك الإضافي في القضية، حزب الله، لا يتابع فقط كل التفاصيل بل يهدد باستغلال الأيام المتبقية حتى الإعلان لتنفيذ عملية "كاريش"، وإيران تقف خلف حزب الله، وتعهدت بنقل السلاح والأموال". ونوهت أن هناك «قضية مشتركة: في (إسرائيل) ليس معروفًا من سيكون رئيس الوزراء التالي، وهكذا في لبنان علامات استفهام في موضوع التصويت على منصب الرئيس، ولفتت إلى أن «العيون الإسرائيلية تنظر لرئيس الأركان اللبناني جوزيف عون كمرشح مثالي، وبقدر ما هو معروف، سيوافق على صفقة مع إسرائيل، وربما يسير أبعد من ذلك في الجانب السياسي»، وتساءلت الصحيفة: «من نصدق؛ نصر الله الذي يهدد بمفاجأة سيئة لإسرائيل قبل التنفيذ، أم وزير الأمن الإسرائيلي بيني غانتس، الذي يحذر اللبنانيين لكنه يقصد حزب الله، أم عاموس هوكشتاين الذي يُبقي الأوراق قريبة من الصدر ويهتم بالإعلان أنه متفائل جدًّا».

الوعي: مواقف الاعتراف من (إسرائيل) أخذت أشكالًا معوجة مختلفة، وهذا الخبر يصب في شكل اعتراف حزب إيران بـ (إسرائيل)، وانتقاله من صراع معها على الوجود، إلى صراع على الحدود.

كيف يتم استخدام «بوليوود» كدعاية بالهند ضد المسلمين؟

نشر موقع «غلوبال فيلاج سبايس» الأمريكي، تقريرًا أعدَّه محمود علي، مساعد أبحاث

في معهد الدراسات الاستراتيجية في إسلام أباد، تحدَّث فيه عن المتطرفين الدينيين والقوميين المتطرفين في الهند الذين يستخدمون وسائل الإعلام كأداة للدعاية لتبرير أعمالهم الوحشية غير المبرَّرة، والعنف ضد المسلمين والأقليات الأخرى في الهند. وقال الموقع، في تقريره الذي ترجمته «عربي٢١»، إنه فيما يتعلق بتأسيس وتأطير ونشر الأخبار الكاذبة، تشتهر الهند بأنها مصنع تلفزيوني مزيَّف، والآن يستخدم رئيس الوزراء ناريندرا مودي وسائل الإعلام وصناعة الأفلام كجزء من آليات الدعاية لتصوير الأقليات المسلمة على أنها بغيضة وفاسدة؛ حيث توجد قائمة طويلة من الأفلام في بوليوود والتي تستند بالكامل إلى الروايات المعادية للمسلمين والمسيحيين وتزعم أنها تستند إلى «أحداث تاريخية»، وتهدف لغسل عقول المشاهدين وإقناع الأغلبية بأنهم ضحايا الأقلية. وتتبع حكومة حزب بهاراتيا جاناتا، وكذلك أصحاب أيديولوجية القومية الهندوسية وقادتهم الدينيون المتطرفون آثار أقدام ألمانيا النازية، ولن يؤدي توجههم المتزايد لاستهداف الأقليات في أفلام بوليوود، سوى لمزيد من الانقسام في البلاد.

الوعي: إن الهند بسياستها العنصرية ضد المسلمين ليست بعيدة عن التنسيق مع حكام (إسرائيل). ومن ينظر إلى أعداد المسلمين المقدَّرة بعشرات الملايين في الهند يرَ أن هذه الحملات المسعورة ليست إلا مشروع فتنة مستطيرة، وهي من ضمن الحرب الكونية على الإسلام.

«هآرتس»: عناصر بالسلطة تدربوا في الأردن بإشراف أمريكي

قالت صحيفة «هآرتس» (الإسرائيلية) في مقال للكاتب عاموس هرئيل، إن عناصر أمنية في السلطة الفلسطينية، تلقَّوا تدريبات مؤخرًا في العاصمة الأردنية عمّان، تحت إشراف أمريكي. وذكرت الصحيفة أن هناك قلقًا أمنيًّا (إسرائيليًّا) إزاء تغير عقلية أفراد الأجهزة الأمنية الفلسطينية الذين باتوا ينحازون إلى المقاومين في الضفة الغربية ما شكل ضعفًا في التنسيق مع الاحتلال. ونوَّهت «هآرتس» أن «إسرائيل والسلطة الفلسطينية، والولايات المتحدة ناقشوا مؤخرًا خطوات أخرى من أجل تحسين قدرة الأجهزة الأمنية الفلسطينية». وتابعت: «إسرائيل لا تستبعد تقديم تسهيلات من أجل نقل السلاح والذخيرة للأجهزة بهدف تعزيز قوتها أمام المجموعات المسلحة. وقد طرحت أيضًا فكرة إقامة قوة فلسطينية خاصة، مدرَّبة ومسلَّحة بشكل جيد من أجل إرسالها للتعامل مع مقاومين مسلحين من حماس ومن الجهاد الإسلامي». وأشار المقال إلى استمرار اللقاءات الأمنية على المستويات الرفيعة بين السلطة الفلسطينية و(إسرائيل). ولخَّصت الصحيفة

الوضع الحالي بأن المحافل (الإسرائيلية) لا تحمل وجهة نظر موحَّدة تجاه التعامل مع الأجهزة الأمنية الفلسطينية، وأن هناك اختلافًا في الآراء حول منحها مزيدًا من الصلاحيات للحفاظ على التنسيق معها، أو تجاهلها وشن عملية أمنية واسعة في الضفة.

الوعي: هذا هو حال الأنظمة في بلاد المسلمين، وليس في فلسطين فحسب، وخيانة السلطة تذهب أبعد بكثير مما هو معلن، وما خفي أعظم... وسيأتي اليوم الذي تؤدي الذمم ما عليها من حقوق.

قلق (إسرائيلي) على السيسي.. و«يديعوت»: «اليد على القلب»

تحدثت صحيفة عبرية، عن حالة من القلق لدى المحافل (الإسرائيلية) المختلفة حيال الوضع الذي يمر به زعيم النظام المصري، عبدالفتاح السيسي، بسبب الأزمات الكبيرة التي تعصف بمصر. وقالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية، في افتتاحيتها التي كتبتها الصحفية الإسرائيلية الخبيرة بالشؤون العربية، سمدار بيري: «خطاب السيسي في ٢٠٢٢/٠٩/٠٨م، كان واحدًا من أشد وأفظع وأبشع خطاباته خلال سنوات حكمه الثماني التي مرت». وأشارت إلى «الواقع المرير الذي تمر به»، منوهة إلى العديد من المشاكل التي تعاني منها بلاد نهر النيل ومنها: توقف توريد القمح من قبل روسيا وأوكرانيا، وتردِّي قيمة الجنيه المصري، وعدم انتعاش السياحة... وفي معرض دفاعها عن السيسي، ذكرت الصحيفة، أن هناك من «يزعم أن السيسي استثمر عشرات ملايين الدولارات في أماكن غير صحيحة، وبأنه مخادع ويعرف كيف يستغل مكانته ويطالب بالأموال من تحت الطاولة، وهو يوزعها على حساب شعبه»، زاعمة أنه «من الصعب إيجاد حلول لدولة فقيرة مثل مصر». وتساءلت: «ما الذي يمكن لإسرائيل أن تفعله لتساعد مصر (السيسي)؟»، لتجيب: «واليد على القلب: لا شيء». وأضافت: «لا سبيل لأن نساعد من هنا دولة عدد سكانها ١٠٧ ملايين نسمة... يمكن أن نبدي العطف في المستويات العليا. مرغوب بالتأكيد ألا نهاجم، ومن المجدي أن نفهم أنه لو حتى مرَّت أزمة سياسية بين القاهرة وتل أبيب فإن على إسرائيل أن تتجلد بالصبر، وأن تتفهم الضغط الذي هم فيه». وقالت: «السيسي هو الجار الذي يمكن أن يدار معه حديث، وأيضًا مع وزير المخابرات المصري عباس كامل، يد السيسي اليمنى». ونوَّهت إلى أن السيسي يصل إلى قطر اليوم من

أجل «طلب مساعدة اقتصادية، وعلى إسرائيل أن تأمل أن تنتهي رحلة السيسي في الخليج بنجاح»، محذرة من تداعيات الأزمة المصرية لأن «أزمة مصر سيناريو سيئ جدًّا لنا أيضًا».

الوعي: شهادة اليهود الذين وصفهم الله بأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين للسيسي، ووضع يدهم على قلوبهم خوفًا عليه... هي شهادة عليه عند الله وعند الأمة!.

بعد قطيعة ١٠ سنوات.. حماس تعلن استئناف علاقتها مع النظام السوري

أكدت حركة المقاومة الإسلامية حماس «مُضيّها في بناء وتطوير علاقات راسخة» مع النظام السوري «في إطار قرارها باستئناف علاقتها مع سوريا الشقيقة خدمةً لأمتنا وقضاياها العادلة، وفي القلب منها قضية فلسطين». وقالت الحركة في بيان لها إنها تتابع «باهتمام استمرار العدوان الصهيوني على سوريا الشقيقة، بالقصف والقتل والتدمير، وتصاعد محاولات النيل منها وتقسيمها وتجزئتها، وإبعادها عن دورها التاريخي الفاعل، لا سيما على صعيد القضية الفلسطينية». وأضافت أن «سوريا احتضنت شعبنا الفلسطيني وفصائله المقاومة لعقود من الزمن، وهو ما يستوجب الوقوف معها، في ظل ما تتعرض له من عدوان غاشم». وأكد البيان استراتيجية الحركة «الثابتة، وحرصها على تطوير وتعزيز علاقاتها مع أمتها، ومحيطها العربي والإسلامي، وكل الداعمين لقضيتنا ومقاومتنا». وأعرب البيان عن تقدير حركة حماس «للجمهورية العربية السورية قيادةً وشعبًا، لدورها في الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة»، كما أعرب عن تطلعها لأن «تستعيد سوريا دورها ومكانتها في الأمتين العربية والإسلامية، وندعم كل الجهود المخلصة من أجل استقرار وسلامة سوريا، وازدهارها وتقدمها». وأدان البيان «بشدة العدوان الصهيوني المتكرِّر على سوريا، ونؤكد وقوفنا إلى جانب سوريا الشقيقة في مواجهة هذا العدوان». وأكدت حماس في البيان على موقفها الثابت «من وحدة سوريا أرضًا وشعبًا، ونرفض أي مساس بذلك»، ودعت إلى «إنهاء جميع مظاهر الصراع في الأمة، وتحقيق المصالحات والتفاهمات بين مكوّناتها ودولها وقواها عبر الحوار الجادّ، بما يحقق مصالح الأمة ويخدم قضاياها». كما أكدت انحيازها إلى «أمتنا في مواجهة المخططات الصهيونية الخبيثة، الهادفة إلى تجزئتها وتقسيمها ونهب خيراتها، ونقف صفًا واحدًا وطنيًّا وعربيًّا وإسلاميًّا لمقاومة العدو الصهيوني، والتصدي لمخططاته». ونقلت وكالة الأناضول عن مصدر فلسطيني في يونيو/حزيران الماضي أن حركة حماس والنظام السوري يستعدان لفتح صفحة جديدة، واستعادة العلاقات بعد قطيعة استمرت ١٠ أعوام. وقررت قيادة

حركة حماس مغادرة دمشق في فبراير ٢٠١٢م بعد نحو عام من بداية الثورة السورية في مارس/ آذار ٢٠١١م.

الوعي: يقف حزب الله ومن ورائه إيران خلف هذا الموقف الانقلابي لحماس، ويقف خلف كل ذلك قرار أمريكي بإعادة إدماج النظام السوري المجرم إياه في محيطه. وحقيقة هذا الانقلاب أنه انقلاب يجعلها تدين نفسها قبل أن يدينها الآخرون، فكل كلامها يعني أنها كانت خاطئة قبل هذا الموقف.

بوتين: الدول الإسلامية شريك تقليدى لروسيا فى حل القضايا العالمية

وصف الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الدول الإسلامية بأنها شريك تقليدي لروسيا في حل القضايا العالمية، وذلك في برقية تحية للمشاركين في قمة قازان العالمية للشباب. وقال بوتين في برقيته التي نشرت على موقع الكرملين: «دول العالم الإسلامي هي شريكنا التقليدي في حل العديد من القضايا الملحة في الأجندة الإقليمية والعالمية، وفي الجهود المبذولة لبناء نظام عالمي أكثر عدلًا وديمقراطية». وبحسب موقع روسيا اليوم، أضاف بوتين «من المهم أن يشارك الشباب بشكل متزايد في مثل هذا التفاعل البنَّاء متعدد الأوجه»، مشيرًا إلى وصول «مئات المندوبين من عشرات الدول إلى قازان ممثلين عن مختلف المنظمات العامة والطلابية ومراكز الأبحاث والهيئات الحكومية المسؤولة عن سياسة الشباب». واعتبر الرئيس أن «اختيار قازان عاصمة للشباب لمنظمة التعاون الإسلامي يؤكد المستوى العالي لعلاقات روسيا مع هذه المنظمة». وأعرب عن ثقته في أن القمة، التي تجري في الفترة بين ٢٧ و٣٠ أغسطس ضمن فعاليات «قازان - عاصمة الشباب لمنظمة التعاون الإسلامي - ٢٠٢٢»، ستسهم في تعزيز التفاهم المتبادل والثقة بين شعوب روسيا والدول الإسلامية، متمنيًا للمشاركين في الحدث النجاح والازدهار والتوفيق.

الوعي: هذا الاهتمام بالجانب الإسلامي في الصراعات الدولية يكشف أن المسلمين مؤثرين، ويمكن استخدامهم بنجاح لكل طرف، ويعني أنهم ضعاف بالشكل الذي يجعل غيرهم لا يفكر إلا باستغلالهم لمصلحته، وفي الوقت نفسه على المسلمين أن يفكروا كيف يكونون هم أسياد العالم؛ فهم الأحق بذلك لأن دينهم ونظامهم إلهي.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣] .

جاء في تفسير الشيخ محمد متولِّي الشعراوي (رحمه الله تعالى):

«وحين يقول الحق ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ فمن المخاطب بهذه الآية؟ لاشك أن المخاطب بهذه الآية كل من كانت حياته بعد هذه الواقعة، سواء كان مؤمنًا أم كافرًا، فالمؤمن تؤكد له أن نصر الله يأتي ولو من غير أسباب، والكافر تأتي له الآية بالعبرة في أن الله يخذله ولو بالأسباب، إن الله جعل من تلك الموقعة آية. والآية هي الشيء العجيب أَيْ إن واقعه ونتائجه لا تأتي وَفق المقدمات البشرية.

نعم هذا خطاب عام لكل من ينتسب إلى أيِّ فئة من الفئتين المتقاتلين، سواء كانت فئة الإيمان أم فئة الكفر. ففئة الإيمان لكي تفهم أنه ليست الأسباب المادية هي كل شيء في المعركة بين الحق والباطل؛ لأن لله جنودًا لا يرونها. وكذلك يخطئ هذا الخطاب فئة الكافرين فلا يقولون: إن لنا أسبابنا من عدد وعُدَّة قوية، فقد وقعت المعركة بين الحق والباطل من قبل؛ وقد انتصر الحق.

وكلمة «فِئَةٌ» إذا سمعتها تصورت جماعة من الناس ولكن لها خصوصية؛ فقد توجد جماعة ولكن لكل واحد حركة في الحياة. ولكن حين نسمع كلمة «فِئَةٌ» فهي تدل على جماعة، وهي بصدد عمل واحد. ففي غير الحرب كل واحد له حركة قد تختلف عن حركة الآخر؛ ولكن كلمة «فِئَةٌ» تدل على جماعة من الناس لها حركة واحدة في عمل واحد لغاية واحدة. ولاشك أن الحرب تصور هذه العملية أدق تصوير، بل إن الحرب هي التي تُوَحّد كل فئةٍ في سبيل الحركةِ الواحدة والعمل الواحد للغاية الواحدة؛ لأن كل واحد من أي فئة لا يستطيع أن يحمي نفسه وحده، فكل واحد يفيء ويرجع إلى الجماعة، ولا يستطيع أن ينفصل عن جماعته؛ ولكن الفرد في حركة الحياة العادية يستطيع أن ينفصل عن جماعته.

إذن فكلمة «فِئَةٌ» تدل على جماعة من الناس في عملية واحدة، وتأتي الكلمة دائمًا في الحرب لتصور كل معسكر يواجه آخر. وحين يقول الحق: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾

أي أن هناك صراعًا بين فئتين، ويوضح الحق ماهية كل فئة فيقول: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ﴾ وحين ندقق النظر في النص القرآني، نجد أن الحق لم يورد لنا وصف الفئة التي تقاتل في سبيل الله ولم يذكر أنها فئة مؤمنة، وأوضح أن الفئة الأخرى كافرة، وهذا يعني أنّ الفئة التي تقاتل في سبيل الله لابد أن تكون فئة مؤمنة، ولم يورد الحق أن الفئة الكافرة تقاتل في سبيل الشيطان اكتفاء بأن كفرها لابد أن يقودها إلى أن تقاتل في سبيل الشيطان، لقد حذف الحق من وصف الفئة الأولى ما يدل عليه في وصف الفئة الثانية، وعرفنا وصف الفئة التي تقاتل في سبيل الله من مقابلها في الآية وهي الفئة الأخرى. فمقابل الكافرة مؤمنة، وعرفنا أيضًا أن الفئة الكافرة إنما تقاتل في سبيل الشيطان لمجرد معرفتنا أن الفئة الأولى المؤمنة تقاتل في سبيل الله. ويسمُّون ذلك في اللغة (احتباك). وهو أن تحذف من الأول نظير ما أثبتَّ في الثاني، وتحذف من الثاني نظير ما أثبتَّ في الأول، وذلك حتى لا تكرر القول، وحتى توضح الالتحام بين القتال في سبيل الله والإيمان، والقتال في سبيل الشيطان والكفر. إذًا، فالآية على هذا المعنى توضح لنا الآتي: لقد كان لكم آية، أي أمر عجيب جدًا، لا يسير ولا يتفق مع منطق الأسباب الواقعية في فئتين، فعندما التقت الفئة المؤمنة في قتال مع الفئة الكافرة، استطاعت الجماعة المؤمنة المحددة بالغاية التي تقاتل من أجلها، وهي القتال في سبيل الله، أن تنتصر على الفئة الكافرة التي تقاتل في سبيل الشيطان.

وبعد ذلك يقول الحق: ﴿يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ﴾ فنحن أمام فئتين، فمن الذي يَرى؟ ومن الذي يُرى؟ ومن الرائي ومن المرئي؟ إن كان الرائي هم المؤمنين فالمرئي هم الكافرون. وإن كان الرائي هم الكافرين فالمرئي هم المؤمنون، ولنرَ الأمر على المعنيين: فإن كان الكافرون هم الذين يرون المؤمنين، فإنهم يرونهم مثليهم؛ أي ضعف عددهم، وكان عدد الكافرين يقرب من ألف. إذًا، فالكافرون يرون المؤمنين ضعف أنفسهم، أي ألفين. وقد يكون المعنى مؤديًا إلى أن المؤمنين يرون الكافرين ضعف عددهم الفعلي. وقد يؤدي المعنى إلى أن الكافرين يرون المؤمنين ضعف عددهم وكان عدد المؤمنين يقرب من ثلاثمائة وأربعة عشر، وضعف هذا العدد هو ستمائة وثمانية وعشرون مقاتلًا.

فإن أخذنا معنى ﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ على عدد المؤمنين، فالكافرون يرونهم حوالى ستمائة وثمانية وعشرين مقاتلًا، وإن أخذنا معنى ﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ على عدد الكافرين فالكافرون يرون المؤمنين حوالى ألفين. وما الهدف من ذلك؟ إن الحق سبحانه يتكلم عن المواجهة بين الكفر والإيمان؛ حيث ينصر الله الإيمان على الكفر. وبعض من الذين يتصيَّدون للقرآن يقولون: كيف يقول القرآن ﴿يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ﴾ وهو يقول في موقع آخر: ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى

ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٣-٤٤].

وهذه الآية تثبت كثرة، سواء كثرة المؤمنين أو كثرة الكافرين، والآية التي نحن بصدد تناولها بالخواطر الإيمانية تثبت قلة، والمشكِّكون في القرآن يقولون: كيف يتناول القرآن موقعة واحدة على أمرين مختلفين؟ ونقول لهؤلاء المشكِّكين: أنتم قليلو الفطنة؛ لأن هناك فرقًا بين الشجاعة في الإقبال على المعركة وبين الروح العملية والمعنوية التي تسيطر على المقاتل أثناء المعركة، والحق سبحانه قد تكلم عن الحالين: قلَّل الحق هؤلاء في أعين هؤلاء، وقلَّل هؤلاء في أعين هؤلاء؛ لأن المؤمنين حين يرَون الكافرين قليلًا فإنهم يتزودون بالجرأة وطاقة الإيمان ليحققوا النصر. والكافرون عندما يرَون المؤمنين قلة فإنهم يستهينون بهم ويتراخَون عند مواجهتهم؛ ولكن عندما تلتحم المعركة فما الذي يحدث؟ لقد دخلوا جميعًا المعركة على أمل القلة في الأعداد المواجِهة، فما الذي يحدث في أعصابهم؟ إن المؤمن يدخل المعركة بالاستعداد المكثَّف لمواجهة الكفار. وأعصاب الكافر تخور لأن العدد أصبح على غير ما توقَّع، إذًا فيقول الحق: ﴿وَإِذۡ يُرِيكَهُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤]. يصور الحالة قبل المعركة؛ لأن الله لا يريد أن يتهيَّب طرف فلا تنشأ المعركة؛ لكن ما إن تبدأ المعركة حتى يقلب الحق الأمور على عكسها، إنه ينقل الشيء من الضد إلى الضد، ونقل الشيء من الضد إلى الضد إيذان بأن قادرًا أعلى يقود المشاعر والأحاسيس، والقدرة العالية تستطيع أن تصنع في المشاعر ما تريد. لقد قلَّل الحق الأعداد أولًا حتى لا يتهيَّبوا المعركة، وفي وقت المعركة جعلهم الله كثيرًا في أعين بعضهم البعض، فترى كل فئةٍ الطرف الآخر كثيرًا، فتتفجر طاقات الشجاعة المؤمنة من نفوس المؤمنين فيقبلون على القتال بحماسة، وتخور نفوس الكافرين عندما يواجهون أعدادًا أكثر مما يتوقعون. والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ **[آل عمران: ١٣]**.

إن هذه الأية هي خبر تبشيري لكل مؤمن بالنصر، وهي في الوقت نفسه خبر إنذاري لكل كافر بأن الهزيمة سوف تلحق به إن واجه الجماعة المؤمنة. فإياكم أن تقيِّموا الأمور بمقاييس الأسباب، فالأسباب المطلوبة منكم هي المقدور عليها للبشر، وعليكم أن تتركوا تتمة كل ذلك للقدر، فلا تخور الفئة المؤمنة أمام عدد كثير، ولا تغتروا معشر الكفار بأعدادكم الكثيرة؛ فالسابقة أمامكم تؤكد أن عددًا قليلًا من المؤمنين قد غلب عددًا كثيرًا من الكافرين.

ومن معاني الآية أيضًا أن الكافرين يرون المؤمنين مثلَي عدد الكافرين، أي ضعف عددهم. ومن معانيها ثالثًا أن الكافرين يرون المؤمنين ضعف عدد المؤمنين الفعلي. ومن معاني الآية رابعًا أن يرى المسلمون الكافرين مثلَيهم، أي مثل المؤمنين مرتين، أي ستمائة نفر وقليلًا، وحينئذ يكون عدد الكافرين في عيون المؤمنين أقل من العدد الفعلي لهؤلاء الكافرين. إذًا، فما حكاية

﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ هذه؟ لقد وعد الله المؤمنين بنصره حين قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ **[الأنفال: ٦٥]**. والنسبة هنا أن المؤمن الواحد يخرج إلى عشرة من الكافرين فيهزمهم، ذلك وعد الله، وحين أراد الله التخفيف قال الحق: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦]. لقد خفف الله النسبة، فواحد من المؤمنين يغلب اثنين من الكافرين. فالمؤمنون موعودون من الله بالغلبة حتى وهم ضعاف.

والحق يقول في الآية المبشرة للمؤمنين، المنذرة للكافرين، والتي نحن بصددها الآن: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾. ونحن نسمع كلمة (عبرة) كثيرًا، والمادة المأخوذة منها تدل على الدخول من مكان إلى مكان، فقال عن ذلك (عُبور)، ونحن في حياتنا العادية نخصص في الشوارع أماكن لعبور المشاة، أي المسافة التي يمكن للمشاة أن ينفذوا منها من ضفة الشارع إلى الضفة الأخرى من الشارع نفسه. وعبور البحر هو النفاذ من شاطئ إلى شاطئ آخر. إذًا، فمادة (العبور) تدل على النفاذ من مكان إلى مكان، و(العَبرة) أي الدمعة لأنها تسقط من محلها من العين على الخد. و(العِبارة) أي الجملة التي نتكلم بها، فهي تنتقل من الفم إلى الأذن، وهي عبور أيضًا. و(العبير) أي الرائحة الجميلة التي تنتقل من الوردة البعيدة عن الإنسان قليلًا لتنفذ إلى أنفه. إذن فمادة (العبور) تدل على (النفاذ). وحين يقول الحق: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾ أي تنقلكم من أمر قد يخيفكم أيها المؤمنون لأنكم قليل، وهم كثير، إنها تنقلكم إلى نصر الله أيها المؤمنون، وتنقلكم أيها الكافرون إلى الهزيمة برغم كثرة عُدتكم وعَددكم. فالعبرة هي حدث ينقلك من شيء إلى شيء مغاير، كالظالم الذي نرى فيه يومًا، ونقول إن ذلك عبرة لنا، أي إنها نقلتنا من رؤيته في الطغيان إلى رؤيته في المهانة. وهكذا تكون العبرة هي العظة اللافتة والناقلة من حكم إلى حكم قد يستغربه الذهن، فتذييل هذه الآية الكريمة بهذا المعنى هو إيضاح وبيان كامل، فالحق يقول في بداية هذه الآية: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ﴾ وتنتهي الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾.

إذًا، فالعبرة شيء ينقلنا من أمر إلى أمر قد تستغربه الأسباب، وذلك إن كنت متروكًا لسياسة نفسك؛ لكن المؤمن ليس متروكًا لسياسة نفسه؛ لأن الله لو أراد أن يعذب الكفار بدون مواجهة المؤمنين وحربهم لعذبهم بدون ذلك؛ ولكن الله يريد أن يكون عذاب الكافرين بأيدي المؤمنين: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة: ١٤]. ولو كان الله يريد أن يعذب الكافرين بغير أيدي المؤمنين لأحدث ظاهرة في الكون تعذبهم، كزلزال يحدث ويدمرهم، ولكن الله يريد أن يعذب الكافرين بأيدي المؤمنين: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ و(الأيد) هو القوة، إذًا، فهو يريد منك فقط النواة العملية، ثم بعد ذلك يكملها الله بالنصر، (وأيَّده) أي قوَّاه، ويؤيد الله بنصره من يشاء،

وتكون العبرة لأولي الأبصار.

وقد يقول قائل: أتكون العبرة لأولي الأبصار، أم لأولي البصائر؟ وهنا نقول: إن العبرة هنا لأولى الأبصار؛ لأن الأمر الذي تتحدث عنه الآية هو أمر مشهدي، أمر محسوس، فمن له عينان عليه أن يبصر بهما، فإذا كان التفكير والتدبُّر ليس أمرًا موهوبًا لكل مخلوق من البشر، فإن البصر موجود للغالبية من الناس، وكل منهم يستطيع أن يفتح عينيه ليرى هذا الأمر المشهدي. وإذا ما نظرنا إلى المعركة بذاتها وجدنا الدليل الكامل على صدق العبارة؛ فالمؤمنون قلة وعددهم معروف محدود، وعتادهم قليل، ولم يخرجوا بقصد حرب، إنما خرجوا لقصد الاستيلاء على العير المحملة بالأرزاق من طعام وكسوة تعويضًا عما اغتصبه المشركون من أموالهم في مكة، ولو أنّهم استولوا على العير فقط لما كان النصر عظيمًا بالدرجة التي كان عليها؛ لأن العِير عادة لا تسير بعتاد ضخم إنما تحفظ بالحراسة فقط. ولكن الله يريد لهم النصر على ذات الشوكة، أي الطائفة القوية المسلحة، لقد وعدهم الله بالنصر على إحدى الطائفتين: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال: ٧].

لقد كان وعد الله أن ينصر المؤمنين على إحدى الطائفتين، والأمل البشرى كان يود الانتصار على الطائفة غير ذات الشوكة أي الطائفة غير المسلحة وهي العير، ولكن مثل هذا النصر لا يكون له دَوِيُّ النصر على الطائفة المسلحة، فقد كان من السهل أن يقال: إن محمدًا ومن معه تعرضوا لجماعة من التجار لا أسلحة معهم ولا جيش، ولكن الله يريد أن يجعل من هذه المعركة فرقانًا وأن يحق الحق.

إنكم أيها المؤمنون لم تخرجوا إلاَّ لِقصد العير أي لم يكن استعدادكم كافيًا للقتال، أما الكفار فقد جاؤوا بالنفير، أي بكل قوتهم، فقد ألقت مكة في هذه المعركة بأفلاذ أكبادها. وعندما يأتي النصر من الله للمؤمن في مثل هذه الموقعة فهو نصر حقيقي، ويكون آية غاية في العجب من آيات الله. وتصير عبرة للغير؛ لذلك نجد العجائب في هذه المعركة، معركة بدر. الغرائب أنك تجد الأخوين يكون لكل منهما موقف ومجابهة. وتجد الأب والابن لكل منهما موقف ومجابهة برغم عمق الصلة بينهما، فمثلًا ابن أبي بكر رضي الله عنه، وكان هذا الابن لم يسلم بعد، وكان في جانب الكفار، وأبوه الصِّديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد أن أسلم ابن أبي بكر يحكي الابن لأبيه بشيء من الامتنان والبر: لقد تراءَيْت لي يوم بدر فزويت وجهي عنك. فيرد أبو بكر الرد الإيماني الصدِّيقي: والله لو تراءيتَ لي أنت لقتلتك. وكلا الموقفين منطقي، لماذا؟ لأن ابن أبي بكر حين يلتقي بأبي بكر، ويرى وجه أبيه، فإنه يقارن بين أبي بكر وبين ماذا؟ إنه يقارن بين أبيه وبين باطل، ويعرف تمام العلم أنه باطل، فيرجح عند ابن أبي بكر أبوه، ولذلك يحافظ على أبيه فلا يلمسه. لكنَّ أبا بكر الصديق حينما يقارن فهو يقارن بين الإيمان بالله وابنه، ومن المؤكد أن الإيمان يزيد عند الصِّديق أبي بكر، فلو رآه يوم بدر لقتله.

ولله حكمة فيمن قُتل على أيدي المؤمنين من مجرمي الحرب من قريش، ولله حكمة فيمن أبقى من الكفار بغير قتل؛ لأن هؤلاء مدَّخرون لقضية إيمانية كبرى سوف يبلون فيها البلاء الحسن. فلو مات خالد بن الوليد في موقعة من المواقع التي كان فيها في جانب الكفر لحزنا نحن المسلمين؛ لأن الله قد ادَّخره لمعارك إيمانية يكون فيها سيف الله المسلول، ولو مات عكرمة لفقدت أمة الإسلام مقاتلًا عبقريًّا. لقد حزن المسلمون في موقعة بدر لأنهم لم يقتلوا هؤلاء الفرسان؛ لأنهم لم يعلموا حكمة الله في ادِّخار هؤلاء المقاتلين؛ لينضموا فيما بعد إلى صفوف الإيمان. والله لم يمكِّن مقاتلي المسلمين يوم بدر من المحاربين الذين كانوا على دين قومهم آنئذٍ إلا لأن الله قد ادَّخرهم لمواقع إيمانية قادمة يقفون فيها، ويحاربون في صفوف المؤمنين وهذا نصر جديد.

ونرى أبا عزيز وهو شقيق الصحابي مصعب بن عمير الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبشر بدين الله، ويعلِّم أهل المدينة، وكان مصعب فتى قريش المدلل صاحب ترف، وأمه صاحبة ثراء، وبعد ذلك رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبس جلد شاة بعد أن كان يلبس الحرير، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**انظروا إلى الإيمان ماذا فعل بصاحبكم**.» والتقى مصعب في المعركة مع أخيه أبي عزيز، وأبو عزيز على الكفر، ومصعب رضي الله عنه مسلم يقف مع النبي صلى الله عليه وسلم، وحين يرى مصعب رضي الله عنه أخاه أبا عزيز وهو أسير لصحابي اسمه أبو اليسر، فيقول مصعب: يا أبا اليسر اشدد على أسيرك؛ فإن أمه غنية وذات متاع، وستفديه بمال كثير. فيقول له أخوه أبو عزيز: أهذه وصاتك بأخيك؟ فيقول مصعب مشيرًا إلى أبي اليسر: هذا أخي دونك.

كانت هذه هي الروح الإيمانية التي تجعل الفئة القليلة تنتصر على أهل الكفر، طاقة إيمانية ضخمة تتغلب على عاطفة الأخوة، وعاطفة الأبوة، وعاطفة البنوة. وقد جعل الله من موقعة بدر آية حتى لا يخور مؤمن وإن قلَّ عدد المؤمنين، أو قلَّت عُدّتهم، وحتى لا يغترَّ كافر، وإن كثر عددُ قومه وعتادهم. وقد جعلها الله آية للصدق الإيماني؛ ولذلك يقال: احرص على الموت توهب لك الحياة. وقد كانت القضية الإيمانية هي التي تملأ نفس المؤمن، إنَّها قضية عميقة متغلغلة في النفوس. ولماذا يتربص الكفار بالمؤمنين؟ إنهم إن تربصوا بهم، فسيدخل المؤمنون الجنة إن قُتِلوا أو ينتصرون على الكفار، وفي ذلك يقول الحق على لسان المؤمنين: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة: ٥٢]. فالظفر هنا بأحد أمرين: إما النصر على الكافرين، وإما الاستشهاد في سبيل الله، ونيل منزلة الشهداء في الجنة وكلاهما جميل. والمؤمنون يتربَّصون بالكافرين، إما أن يصيب الله الكفار بعذاب من عنده، وإما أن يصيبهم بأيدي المؤمنين. إنها معادلة إيمانية واضحة جلية. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ...﴾

إن من أول ما يجب على المسلم إدراكه والإيمان به هو أن له شيطانًا قرينًا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه، يرافقنا من أول دنيانا إلى آخرها، لا همَّ له إلا أن يغلب الإنسان بإيقاعه بالكفر والمعصية، وبتسلطه على قلبه وعقله وجوارحه بالنزغ والوسوسة والهمز واللمز والنفث والنفخ والغواية والتزيين... ولا يغلبه الإنسان إلا بالإيمان وبطاعة الله وبدوام التوكل عليه وبالتوبة والتزام الاستغفار... وبمعصية الشيطان في كل أمر من أمور دينه ودنياه، فالعبادة لا تصفو لله إلا باجتناب الشيطان واتخاذه عدوًّا... نعم، إن أول ما على المسلم أن يبقى ماثلًا في ذهنه وقلبه هو أن الشيطان هو عدوُّه الأول، مهمته الوحيدة أن يضلَّه ويمنِّيه ويرديه في جهنم، وأن سبب هذه العداوة هو أن الله سبحانه وتعالى قد أمره بالسجود لآدم عند أول خلقه؛ ولكنه استكبر واستعلى وأبى متذرعًا أنه أفضل منه؛ فأهبطه الله وأخرجه من الجنة مذؤومًا مدحورًا وأوعده جهنم هو وذريته... إنه صراع لا يهدأ أبدًا حتى يموت الإنسان، فالشقيُّ من كان في حزب الشيطان، والسعيد من جنَّبه اللهُ الشيطانَ... إنه صراع ليس بين المسلم والشيطان فحسب، بل هو صراع بين (حزب الله) و(حزب الشيطان). فالشيطان عدو يجب التحصن منه.

إن إدراك سبل غواية الشيطان للإنسان يجب أن يكون معلومًا... إنه يزين له الباطل ويدعوه إليه، ويستفزُّه ليرتكب الحرام بإثارة حميَّته الجاهلية، يستحثُّه على ارتكاب الحرام... إنه حديث النفس الذي يكره أن يطلع عليه الناس، إنه وإنه وإنه ولكنه لا يملك أي سلطة مادية تجبر المسلم لأن يفعل ما يأمره به، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾[إبراهيم: ٢٢] جاء في تفسير الآية عند القرطبي: «وما كان لي عليكم من سلطان أي من حجة وبيان، أي ما أظهرت لكم حجة على ما وعدتكم وزينته لكم في الدنيا إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، أي أغويتكم فتابعتموني. وقيل: لم أقهركم على ما دعوتكم إليه إلا أن دعوتكم هو استثناء منقطع، أي لكن دعوتكم بالوسواس فاستجبتم لي باختياركم ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وقيل: وما كان لي عليكم من سلطان أي على قلوبكم وموضع إيمانكم لكن دعوتكم فاستجبتم لي».

- أَخْرَجَ أَحْمَدُ النَّسَائيُّ في صَحِيحِه: «**إنَّ الشَّيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ بأطرُقِهِ، فقعدَ لَهُ بطريقِ**

الإسلامِ، فقالَ: تُسلمُ وتذرُ دينَكَ ودينَ آبائِكَ وآباءِ أبيكَ، فعَصاهُ فأسلمَ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الهجرةِ، فقالَ: تُهاجرُ وتدَعُ

أرضَكَ وسماءَكَ، وإنَّما مثلُ المُهاجرِ كمَثلِ الفرسِ في الطِّولِ، فعَصاهُ فَهاجرَ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الجِهادِ، فقالَ: تُجاهدُ فَهوَ جَهْدُ النَّفسِ والمالِ، فتُقاتلُ فتُقتَلُ، فتُنكَحُ المرأةُ، ويُقسَمُ المالُ، فعصاهُ فجاهدَ، فقالَ رسولُ اللَّهِ: فمَن فعلَ ذلِكَ كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، ومن قُتِلَ كانَ حقًّا على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، وإن غرِقَ كانَ حقًّا على اللَّهِ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، أو وقصتهُ دابَّتُهُ كانَ حقًّا على اللَّهِ أن يُدْخِلَهُ الجنَّة».

إنَ الشَّيطانَ عدوٌّ مبينٌ للإنسانِ، وقد عُرِفَ بعَداواتِه له منذُ الأزَلِ، وهو يُوسوسُ له بما يَمنعُه مِن الإقبالِ على اللهِ عزَّ وجلَّ. وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الشَّيطانَ قعَد لابنِ آدَمَ بأَطْرُقِه**» أي طُرُقِ هَدْيِه وصَلاحِه يُوسوِسُ له ليَمنَعَه مِن السَّيرِ فيها، «**فقَعَد له بطَريقِ الإسلامِ**». أي ليَمنَعَه مِن الإسلامِ، «**فقال**» أي الشَّيطانُ: «**تُسلِمُ وتَذَرُ دِينَك ودِينَ آبائِك وآباءِ أبيك؟!**» أي: يُنكِرُ عليه إسلامَه مُخالِفًا لدينِ آبائِه، «**فعَصاه**». أي لَم يَسمَعْ له ابنُ آدَمَ وخالَفَه، فأسلَمَ ابنُ آدَمَ للهِ عزَّ وجلَّ.

«**ثمَّ قعَد الشَّيطانُ لابنِ آدَمَ بطَريقِ الهِجرةِ؛ ليَمنَعَه مِن الهِجرةِ، فقال الشَّيطانُ: «تُهاجِرُ وتدَعُ أَرضَك وسماءَك**» أي ينكِرُ عليه الشَّيطانُ أنْ يُهاجِرَ، ويُعظِّمُ له مِن أمرِ مَوطِنِه، ويقولُ له: «**وإنَّما مثَلُ المهاجِرِ كمَثلِ الفرَسِ في الطِّوَلِ**» أي يَزيدُ الشَّيطانُ مِن التَّغريرِ بابنِ آدَمَ، فيُصوِّرُ له أنَّ المهاجِرَ في الغُربةِ كمثلِ الفرَسِ المقيَّدِ، لا يَعرِفُ أحدًا ولا يُخالِطُه أحَدٌ إلَّا بقَدْرِ مَعارِفِه؛ فَهُوَ كالفَرسِ فِي القيدِ لا يَدُور ولا يرْعَى إلَّا بِقَدْرِهِ، بِخِلَاف أهلِ الْبِلاد في بِلادهمْ فإنَّهُم مَبسوطونَ لَا ضِيقَ عَلَيْهِم فأحدُهم كالفرس الْمُرْسل، وهذا من وسوسةِ الشيطانِ وتَخويفِه للمُؤمِن؛ فيُذكِّرُه بالمتاعبِ والمشاقِّ، ويُوازِنُ له بين قُيودِ الإيمانِ، وبينَ حالِ الكافرِ وما أمامَه مِن الفُسحةِ وعدمِ التقيُّدِ بأوامرَ أو نَواهٍ؛ ليصرفَه عن طريقِ الإيمانِ؛ ولكنَّ المؤمنَ الموفَّقَ مِن اللهِ رَفَضَ كيدَ الشَّيطانِ «**فعَصاه فهاجَرَ**» أي لَم يَسمَعْ ابنُ آدَمَ للشَّيطانِ وخالَفَه.

«**ثمَّ قعَد الشَّيطانُ لابنِ آدَمَ بطَريقِ الجِهادِ؛** ليَمنَعَه مِن الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، «**فقال**» الشَّيطانُ: «**تُجاهِدُ؛ فهو جَهْدُ النَّفسِ والمالِ**». أي يُقلِّلُ له مِن شَأنِ الجِهادِ، وإنَّما هو إرهاقٌ وتعَبٌ للنَّفسِ والمالِ، «**فتُقاتِلُ فتُقتَلُ**» أي فيكونُ جزاؤُك في القِتالِ القَتلَ، «**فتُنكَحُ المرأةُ**» أي: يتزوَّجُ زَوجتَك رجُلٌ غيرُك، «**ويُقسَمُ المالُ**» أي يَذهبُ للورَثَةِ، «**فعَصاه فجاهَد**» أي لَم يسمَعْ له ابنُ آدَمَ وخالَفَه وخرَج للجِهادِ، «**فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: «فمَن فعَل ذلك**» أي خالَف الشَّيطانَ وأسلَم وهاجَر وجاهَد، «**كان حقًّا على اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ يُدخِلَه الجنَّةَ**» أي جزاءً وأجرًا له «**ومَن قُتِل كان حقًّا على اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ يُدخِلَه الجنَّةَ، وإنْ غَرِق كان حقًّا على اللهِ أنْ يُدخِلَه الجنَّةَ، أو وقَصَتْه دابَّتُه**» أي كانت سبَبًا في مَوتِه؛ كأنْ وقَعَ مِن عليها فمات، أو وطِئَتْه «**كان حقًّا على اللهِ أنْ يُدخِلَه الجنَّةَ**» والمرادُ تَعميمُ أحوالِ الموتِ في سَبيلِ اللهِ تَعالَى، أي سواءٌ أكان مَوتُه

بالقَتلِ، أم الغَرقِ، أم بوَقصِ دابَّتِه، أم غيرِ ذلك مِن أسبابِ الموتِ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُدخِلُه الجنَّةَ. وفي الحديثِ تحذيرُ مِن الشَّيطانِ، وبيانُ أنَّه يترصَّدُ لابنِ آدَمَ في كلِّ طُرُقِ الخَيرِ؛ فعَلى المسلِمِ الاحتياطُ لنَفْسِه والاستعانَةُ باللهِ تعالى.

- أخرج أَحْمَدُ ومُسْلِمُ عَن عبدالله بنِ مَسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما مِنكُم مِن أحدٍ إلاَّ وقدْ وُكلَ به قَرينه مِن الجنِّ، قالوا: وإيَّاك يا رَسولَ الله؟! قال: وإيَّاي، إلاَّ أنَّ اللهَ أعانَني عليه فأسلَمَ، فلا يَأمُرُني إلا بَخير**». إن الشَّيطان لا يُفارِق الإنسان البتَّة سواء كان صالحًا أو فاسِدًا، لا همَّ له إلا الإعاقة عن الخَير، والدَّفع إلى الشرِّ، وهو قرين مُلازمٌ في كلِّ حالٍ لا يُفارِقه أبدًا، كما قال.

- أخرج أحمد ومسلم والبخاري عَن صفيَّة ابنةِ حُيِيٍّ، ما يبين درجةَ قُربِ هذا الشَّيطان مِن الإنسانِ فقالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الشَّيطان يَجْرِي مِن الإنسانِ مَجْرى الدَّمِ**». رواه أحمد والبخاري ومسلم.

أخرج أحمد ومسلم عن أبي هُريرة، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا قرَأ ابنُ آدَمَ السَّجدةَ فسجَد اعتزلَ الشَّيطان يَبكي، يَقول: يا وَيلي! أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ فسجَد فله الجنَّة، وأمْرتُ بالسُّجود فأبَيتُ فلِيَ النَّار**». وبكاء إبليس المذكور في الحديث: ليس ندمًا على معصيته، ولا رجوعًا عنها، وإنما ذلك لفرط حسده وغيظه وألمه...

- أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ المؤمن لينضي شيطانه، كما ينضي أحدكم بعيره في سفره.** وقال في شرح الجامع الصغير: «لينضي شيطانه» أي يهزله ويجعله نضواً، أي مهزولاً، لكثرة إذلاله له وجعله أسيراً تحت قهره وتصرّفه؛ لأنّه إذا عرض لقلبه احترز عنه بمعرفة ربّه، وإذا اعترض لنفسه وهي شهواته احترز بذكر الله، فهو أبداً ينضوه، فالبعير يتجشَّم في سفره أثقال حمولته، فيصير نضواً لذلك، وشيطان المؤمن يتجشّم أثقال غيظه منه لما يراه من الطاعة، والوفاء لله... وأشار بتعبيره «**ينضي**» دون يهلك ونحوه إلى أنه لا يتخلّص أحد من الشيطان ما دام حيّاً، فإنّه لا يزال يجاهد القلب وينازعه، والعبد لا يزال يجاهده مجاهدة لا آخر لها إلّا الموت؛ لكنّ المؤمن الكامل يقوى عليه، ولا ينقاد له، ومع ذلك لا يستغني قطّ عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه، فإنّه ما دام حيّاً فأبواب الشياطين مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق، وهي الشهوة والغضب والحدة والطمع والثروة وغيرها... ومهما كان الباب مفتوحاً والعدو غير غافل لم يدفع إلّا بالحراسة والمجاهدة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى معلّقاً على الحديث: «لأنّه كلّما اعترضه صبّ عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة، [فشيطانه معه في عذاب شديد]، ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة؛ ولهذا يكون قويّاً عاتياً شديداً، فمن لم يعذّب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته، عذّبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلا بدّ لكلّ أحد أن يعذّب شيطانه، أو يعذّبه شيطانه». ■

الشيخ بلحاج يعلق على تصريحات الريسوني بكلام مشرق عن مهمة العلماء

في منتصف آب/أغسطس، قال رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الشيخ أحمد الريسوني، في تصريحات لموقع «بلانكا بريس» المغربي: إن ما يؤمن به قطعًا هو أن موريتانيا والصحراء المتنازع عليها بين المغرب والجزائر تابعتان للمملكة المغربية، وأشار إلى استعداد الشعب المغربي للجهاد ومسيرة جديدة مثل المسيرة الخضراء إذا طلب العاهل المغربي ذلك؛ للزحف ليس نحو العيون فقط، وإنما نحو تندوف الجزائرية. ووصف موريتانيا بـ«ما يسمى موريتانيا»، مشيرًا إلى أن «علماء وأعيان ما يسمى موريتانيا، بلاد شنقيط بيعتهم ثابتة للعرش الملكي المغربي»، وفق تعبيره. واعتبر أن قضية الصحراء وموريتانيا صناعة استعمارية» والمغرب يجب أن يعود كما كان قبل الغزو الأوروبي»... هذا وقد أثارت تصريحات الريسوني جدلًا كبيرًا، دفعته إلى تقديم استقالته من رئاسة الاتحاد (مقره الدوحة) في بيان، مبررًا قراره بـ«تمسكه بمواقفه وآرائه الثابتة الراسخة التي لا تقبل المساومة، وحرصًا على ممارسة حريته في التعبير بدون شروط ولا ضغوط».

واللافت من كل من أدلى دلوه من العلماء في التعليق على هذا الحدث هو ما أدلى به الشيخ علي بلحاج حينما دعا علماء الجزائر والمغرب وكافة البلدان الإسلامية إلى النأي بأنفسهم عن التوظيف السياسي من أي نظام حاكم، والإخلاص للقيم والمبادئ الإسلامية التي توحِّد الشعوب وتحقِّق أمنها واستقرارها. وأكد بلحاج أنه يتحفَّظ عن الخوض في الجدل الدائر بشأن التصريحات المنسوبة للريسوني بشأن الموقف من الصحراء والعلاقة مع الجزائر وموريتانيا. وقال: «كل ما أستطيع قوله **إنني أدعو أن يكون العالِم مستقلًّا ولا يكون تحت الطلب، وأن يقول كلمة الحق وينظر إلى مآلات كلامه**». وأضاف: «**مهمة الدعاة بعد أن تخلَّت الأنظمة عن توحيد الشعوب وكسر الحدود التي تركها الاستعمار... أن يركزوا على وحدة الشعوب لأنها باقية أما الأنظمة فمتغيِّرة وغير ثابتة**... ولدينا أمثلة واقعية على ذلك. ثم إن السياسة أمور متقلبة». وتابع: «**ما أدعو إليه هو أن لا يكون العلماء بوقًا لهذا النظام أو ذاك... وأن لا ينحازوا إلى الوطنية الضيقة.. ابن باديس علمنا العمل من أجل الوطنية الكبيرة؛ لأن من لا يسعى للوطنية الكبيرة لا يخدم الوطنية الصغيرة**». وأوصى بلحاج العلماء بأن لا يدخلوا في هذه المعامع، وقال: «**نحن ضحايا أنظمة فاسدة... ولا يمكن أن نصلح فسادًا بفساد... يجب أن نحافظ على وحدة الشعوب وأخوَّتها وسلامتها**». وشدد بلحاج الذي تحدث من على فراش مرضه على أنه «**لا خلاص للدول المغاربية والعربية والإسلامية إلا بوحدة أوطانها وإزالة الحدود الموروثة عن الاستعمار**». وقال: «**مهمة القمم العلمية أن تسهم في هذه الوحدة وأن تترك الأفكار ناصعة حتى إذا لم تستطع أن تحققها يأتي جيل آخر من بعدها لتحقيقها**»، وفق تعبيره. ■

«ربيع عربي» جديد أقوى في الطريق

نشرت «لوموند ديبلوماتيك» في عددها الأخير دراسة تحليلية بعنوان: «الانتصار الهش للثورات المضادة العربية» بقلم مولاي هشام علوي الباحث المشارك في جامعة «هارفرد». في هذه الدراسة يرى الباحث أن الأنظمة المستبدة العربية تفتقر إلى فكر واضح ومشاريع اقتصادية قابلة للحياة مما يجعلها تواجه، عاجلًا أو آجلًا، احتجاجات شعبية واسعة. يبدأ الكاتب دراسته بالإقرار بأنه بعد عقد من الانتفاضات الشعبية عام ٢٠١١م، تمر المجتمعات العربية حاليًّا بحالة من الإنهاك وعدم المبالاة، فمن جهة لم يجد الناس العاديون فكرًا قادرًا على استمالتهم، ومن جهة أخرى تهرّأت النخب السياسية إلى درجة لم تعد تبذل فيه جهدًا لإقناع الجماهير بأن مستقبلًا زاهرًا ينتظرها. هنا، التقت النزعتان لتبعد الشعب عن السياسة فصار جزء منه لا يرى الخلاص إلا في الهجرة، أما البقية فلن تظل في السنوات المقبلة بلا حَراك؛ لأن عمق الأزمات الاقتصادية والاجتماعية سيغذي لا محالة موجة جديدة من الغضب الشعبي. هذه الثورات المقبلة، كما يراها علوي، لن تكون إسلامية. ويرى المقال أن الجمود السياسي الحالي في البلاد العربية يعود إلى عدة عوامل، **أوّلها:** إن التطورات السياسية الأخيرة في الغرب قد ساهمت في خيبة الأمل في الديمقراطية وجعلت مكانة الغرب تتراجع كنموذج. **السبب الثاني** هو فشل الإسلام السياسي إذ إن الحركات الإسلامية التي فازت قبل عشر سنوات في عديد الانتخابات لم تعد تمثل بديلًا ذا مصداقية، كحركة «النهضة» التونسية أو «الإخوان المسلمون» في مصر أو حزب «العدالة والتنمية» في المغرب، فإنها تبدو جميعًا شائخة، ومشروعها الاقتصادي هو أقرب إلى النموذج الليبرالي. **السبب الثالث** أن الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي لم تعد مجالًا يحتكره الشباب الطامحون في التغيير، بل إن السلطة أغرقته بحضورها وبتتبع نشطائه والتضييق عليهم واختراق مواقعهم والسعي الدائم إلى إرباكهم. **أما السبب الرابع** فهو أن المجتمع المدني العربي أصبح هو نفسه أكثر قابلية للاختراق حيث إنه تم إخراس النقابات والجمعيات المهنية، والمنظمات غير الحكومية سقطت هي الأخرى في فخ مراعاة الأهداف قصيرة المدى. ويبقى **السبب الخامس والأخير** أن عددًا من الدول العربية قد فوّضت جزءًا من صلاحياتها إلى ميليشيات تقاتل على الأرض كما في لبنان والعراق وليبيا واليمن وسوريا. ويؤكد الكاتب أن الثورة المضادة لا تملك سوى عودة الاستبداد وأن الموجة الجديدة من «الربيع العربي» التي يراها قادمة لا محالة، ستكون أقوى بكثير من سابقتها.

الوعي: إن التغيير اليوم يطرح في العالم بقوة، والعالم كله لا يملك ما يدفع هذا التغيير من فكر مُبدئي صحيح ونظام إنساني صالح ينقذ البشرية، ويجعلها تستكين وتطمئن إلى حياتها وحياة أجيالها، وحده الإسلام بفهم مبدئي، يقوم على دولة عالمية هي دولة الخلافة الراشدة ويجمع المسلمين أولًا، ثم يمتد ليشمل البشرية جمعاء عن طريق الدولة والجهاد والدعوة وتطبيق الإسلام. وإن غدًا لناظره قريب. ■